المجتمع الخفي

المجتمع الخفي

ج1

محيط من الذكريات

عمر المهدي

تصميم الغلاف: محمد عيد

تدقيق لغوي: خالد رجب عواد

رقم الإيداع: 2015/8232

I.S.B.N: 978-977-488-391-0

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة: 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة.

المدير العام: يحيى هاشم

هاتف: 01144552557 - 01147633268

E – mail:daroktob1@yahoo.com

Facebook: دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، 2015م

المجتمع الخفي

ج1

محيط من الذكريات

عمر المهدي

رواية



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى من بثَّ في روحي العزيمة والإصرار و عدم اليأس مهما تكلف الأمر!

إلى من علَّمني الإخلاص، والحب، وكان لي فعلًا مثالًا يُقتضى به، و ما زِلت...فمهما خطَّ قلمي، يظل عاجزًا، لأنه لن يستطيع أن يُعبر عن مدى حبي وتقديري له...أبي.

إللا السيدة الحنون دومًا، من ضحَّت بالكثير والكثير من أجل سعادتي، نعم، إنها أنتِ يا أُمي.

و إلى من علَّموني كيف أواجه صعوبات الحياة، إخوتي، دينا وزوجها محمد عز ومحمد وعبد الله.

و إلى أخي الكبير، من ظل بجانبي لحظةً بلحظة، حتى صدور تلك الرواية...أكن له كل الاحترام والتقدير، الشاعر: أيمن يحيى.

و أخيرًا إلى من كانوا يومًا عونًا لي، أصدقاء العمر الأعزاء:

عمر سالم، حسين دوكي، وليد نادر، أحمد خالد، أحمد بيبرس

فاطمة خيري، ريم، هَمسة، سارة، دُنيا، ياسمين

إلى كل من سيمنحني وقتًا لقراءة روايتي...

To The Princess of All Tunisian girls!

Oumaima Bsila

This one is for you.

"نحن من نصنع العدو، و نحن من
نُحارِبُه بواسِطَتِكُم!"

رئيسة مجلس إدارة المُجتمع الخفي

"لا تظنوا أننا نعيش وحدنا في هذا الكون!

نعم، بالتأكيد نحن لسنا وحدنا، لا أعني بني الجان، و لا تلك المخلوقات الفضائية التي تنتظر اللحظة المناسبة للهجوم على كوكبنا العزيز!

عندما أقول: إننا لسنا وحدنا، أعني ذلك المُجتمع الخفي! الذي ظلّ يخطط لِمئات السنين، لكي يُهيمن على عالمنا من خلال إثارة الحروب، وتسميم العقول، ونشر المُغريات والإباحية بين المجتمعات، والشيء المُفزع هو... تجريد تلك المُجتعمات من الأديان السماوية!

و بالفعل، قد أفلَحوا!

و أدى ذلك إلى احتلال مصر من قبل أؤلئك اليهود، بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثالثة أمام تلك الدولة المسيطرة على العالم!

و لكي نعرف معًا ما حدث، يجب أن نعود إلى الوراء قليلًا، حيث بدأت أحداث تلك الرواية، والتي قرَّرتُ كِتابتها حتى يعلم أبناؤنا في

المُستقبل "إن كان هناك مُستقبل!" ماحدث و ما زال يحدث في هذا العالم! وقد تطلب الأمر تقسيم تلك الرواية إلى سبعة أجزاء لضخامتها، وكثرة أحداثها! وها هو الجزء الأول بين أيديكم، والذي يُعتبر مجرد تمهيد لتلك السلسلة الملحمية!

و لكم كامل الحُرية في تصديق، أو عدم تصديق ما سيخطه قلمي، فالرواية تحمل في طيَّاتها الخيال، والمُتعة للقارئ...

نعم، هذا ما ستظنونه!"

ويندي

مقدمة

الرياح تلهو مع الأشجار صانِعة بأوراقها حفيفًا من فوقِها، مُتخللًا فُستانها الأزرق ذي الكمين الواسعين.

ذلك عندما أزاحت بيديها الناعمتين فروع تلك الأشجار في هدوء، لتكشف عن مملكة خيالية تقع على الضفّة الشرقية لنهر "ميللر".

انحدرت حتى وصلت إلى جِسر مصنوع باحترافية من الفضّة الرَّقراقة يفصل بين جداول مياهه المُندفعة وتلك المملكة. خطَت الجسر في هدوء، مُتأملة تلك الفراشات زاهيات الألوان تحوم حولها، تستطيع أن تسمع تلك الهمسات والوساوِس تخترق أُذنيها، ولكنها لم تكترث، وعبرت الجسر بنجاح، ووقفت أمام بوابة ذهبية عملاقة مفتوحة على مصرعيها! لم تنتظر أن ترمش بعينيها، حتى أقبل رجل بدا وكأنه حارس تلك البوابة، يرتدي سترة فضّية و خوذة نُقشَت عليها بأحرفٍ لم تتبينها الفتاة، فلطالما كانت لغة الجن أكثر اللّغات غموضًا في قارة سالاريا!

دَلَفت معه إلي الداخل، وساروا علي الضفّة الشرقية للنهر، استمتعت بالاستماع إلى هدير المياه، و زقزقة العصافير الثاوية بين المروج. وتطلعت بعينيها إلى اليمين، حتى أبصرت أشجارًا عالية،

تحتضن بيوتًا جميعها مُخضّبة باللون الأحمر الغامق. ومن الأشياء التي لم تغفلها، ذلك الترحيب الشديد الذي لاقته من شعب تلك المملكة!

أصبحت الآن أمام بوابة مجلس المملكة العظيم! فَهَمَّ الحارس بفتحه دفعًا حتى صاح بأعلى صوته:

"أعضاء مجلسنا الموقر، ها قد وصلت ابنة أمانديا!"

وقف جميع الأعضاء من علي مائدة مصنوعة من الخشب المصقول، مُرحبين بها، فابتسمت لهم في سعادة، وقالت:

"شكرًا لكم لاستقبالكم المتواضع لي.. إنني حقًا أُقدِّر هذا!"

لم يمر الكثير من الوقت، حتى سُمح لها بصعود تلك السلالم الصخرية والتي شعرت برهبة سرت فيها عند صعودها، حتى لاقت إمرأة تقف بِظهرها في شُرفة مُزخرفة، مُحدِّقة أمامها في تلك المروج الهائلة! طويلة القامة، نحيلة الجسد، ترتدي إكليلًا ذهبيًّا فوق شعرها الذي يصل حتى كعبي قدميها، مصبوغًا بلون برتقالي أضفى على فُستانها الحريري جمالًا وأناقة شديدين!

'ميريثراليا'، مَلِكَة ملوك الجان!

"ها قد بلغتي رُشدك، وصرتِ تُبصرين كل شيء الآن!"

قالتها الملكة، ثم التفتت خلفها، لتكشف عن وجهها الملائكي، وعينيها الزرقاوين، وحاجبيها المُنبسطين بشكلٍ مُبالغٍ فيه!

"أصبحتِ تشعرين بها الآن و كأنها سِمٌّ يلتهم جسدِك ببطء.." أردفت، ناظرة إلى عيني الفتاة.

سحبت الفتاة نفسًا وزفرته، وقالت:

"أستطيع أيضًا الشعور بوهنِهَا، وبألمِها، وأبكي بشدة، عندما أراها تُعاني عندما تتذكر تلك اللحظة التي أطلقت فيها سراحنا!"

اقتربت الملكة، و قالت:

"ونتيجة ذلك...إنكما في أمانٍ الآن."

وأضافت بعدما زاغت عيناها:

"إلى حدٍّ ما!"

وصمتت بُرهة، بعدها استرسلت:

"الخطر أصبح يطوف حولنا، ونحن بكل بساطة..نقف مكتوفي الأيدي، لا ندري كيفية القضاء عليه!"

"نعم جلالتك، أدرى، و لقد أتيت لـــ..."

قاطعتها الملكة:

"لقد عادت من جديد يا فينيسا! وإنني لَمُشفقة على الأرض ومن يسكُنها!"

وطافت في المكان مُرتَبِكة، تُحاول أن تُسيطر على جسدها الذي ارتجف بغتة عندما ذكرت كلمة "عادت"!

أردفت:

"بسطت نفوذها هُناك، في الشمال.. واستطاعت إخضاع الملك آدون لإرادها! وبالطبع أنتِ مُلِمَّة بالقصةِ كاملةً."

"نعم جلالتك، قصّت مارجي لي كُل شئ..."

"إذًا، لقد حان وقت القيام بمُهمَّتك يا فينيسا!"

"أدري.. ولهذا أتيت لك... لأسترد ما هو مِلكي أولًا.. اعذريني جلالتك، فأنت تعلمين بالوصّية! " و تعلمين أنَني لن أستطيع القيام بتلك المُهمّة بدونِها! "

ابتلعت ريقها، وأردفت:

"لقد وهبني ربّي ما لم يهبه أحدًا غيري، ولكنني ما زلت أعجز عن التفكير في كيفية الوصول إليها! في الحقيقة.. إنني أفتقدُها كثيرًا!"

ابتسمت ميريثراليا، و قالت أخيرًا:

"لا تقلقي يا صغيرتي، أعرف ما سأفعله... حتمًا ستعود!"

ويندي

لم يكن لها سوى شقيقة تثق بها، تُفشي لها أسرارها، تقُصُّ لها ما جرى في يومها الروتيني، فـــهي الأم، والأب والصديقة الحنون، بعد وفاة والدهما العزيزة، وزواج أبيها بتلك المرأة المغربية التي أُعجبَ بها!

كانت الصدمة بالنسبة لها عندما أحضرها للعيش معهم في منزلهم الكبير، وكثيرًا ما عارضته ويندي ولكن ما باليد حيلة، يجب التعايش مع الأمر الواقع!

يحمل عقلها الكثير من الذكريات المريرة التي جعلت قلبها صلبًا كالحجر، فاقدًا الثقة في من حوله من البشر، فهذه الذكريات، لو بلغت عنان السماء، لن تنتهي، ولن تُنسى!

عبرت ويندي بوابة المدرسة، حدَّقت بغتة إلى ذلك المبنى، مبنى مدرسة البنات... يظل لُغزًا لم تعثر على مُفتاحِه بعد، الطابق السابع!
قالت بهمس:

"ها نحن نبدأ مُجددًا! "

وجالت بعينيها ماسحة المدرسة. عيناها تميل إلى اللون الذهبي الرقراق، سمراء بشرتها، جميلة إلى حد الجُنون! ورقيقة إلى حدّ ما، نحيلة كعصا الجولف، وشعرها الأسود الطويل غير المُنتظم يتطاير بفِعل رياح أتت من العدم في هذا الطقس البارد، لذا كانت ترتدي كعادتها ذلك الزي المخالف لزي المدرسة، والذي لطالما تسبب لها في مشاكل لا حصر لها في سنواتها السابقة، معطِف بني اللون يسير مع لون بشرتها، تي شيرت باهظ الثمن! أسودَ اللون، وساقاها طويلتان متناسقتان ملفوفتان في جينز ضيق، ولكن معطفها كان يستر تفاصيله على جسدها الهزيل! ترتدي حقيبتها الخفيفة، فيبدو أنها لم تحضر جميع الكتب كما يفعل البعض في البداية. إنه يومها الأول في الصف الثاني الثانوي، تجربة جديدة ستمر عليها في حياتها التي كانت جميلة قبل وفاة والدتها. كانت تسير بثقة، وانكسار في آن، عيناها لم تكن تفارقان الأرض، تسير وهي تفكر في شيء ما! نعم، فوالدتها لم تفارق خيالها قط،رفعت عينيها أخيرًا لتجد صديقاتها يقفن أمامها في مجموعة، اقتربت منهن ببطء وهي ما زالت تفكر...وتفكر....لا تتوقف عن التفكير في ما يحدث داخل بيتها، من هذه المرأة التي أحضرها أبوها! كيف له أن يجرؤ؟!

انتبهت إحدى صديقاتها.... يارا، ذات الشعر الأشقر المُبعثر، بعينيها السوداوين تحدّثت إلى ويندي... ماذا بك؟ اقتربت منها ثم غمغمت في هدوء:

"ايه ده مالك يا ويندي؟"

"مافيش حاجة... أنا بس تعبانة شوية."

أجابت بابتسامة مُصطنعة، فبداخلها حزن عميق لا يشعر به أحد سواها!

ربتت يارا على كتفها، وهنا تجمع باقي أفراد المجموعة حولها.

" ويندي حبيبة قلبي ازيك؟ وحشتيني! "

قالت ندى.

"وانتي كمان يا نودي ايه أخبارك؟ "

أجابت و هي في عناقٍ شديدٍ معها.

لنقل إن مشاعرها الحزينة تبدّلت إلى تلك السعادة التي غمرت وجهها في لحظة علَت فيها أصوات صديقاتها، لحظة تبادلوا مشاعر الحب بينهما، العناق كان شديدًا،وغريبًا، فلم يمر ثلاثة أيام حتى كانوا مع بعضهن البعض في عيد ميلاد صديقتهن الصدوقة...منة، ذات النمش. إنهن الفتيات!

نظرت ويندي إلى صديقتها آلاء، ذات الشعر البني كالطين، وفاه عريض مُزين بأحمر شفاه غزير.

"وانتي بقي عملتي ايه في موضوعك يا آلاء؟ "

قالت ويندي.

"والله اهو..انا سايبة كل حاجة علي ربنا..الموضوع بيمشي لوحده كده والله!"

أجابت آلاء.

"مانا مش فاهمة .."

قالت، ثم اقتربت ووضعت يديها علي كتفها:

"انتي بتحبيه و لا ايه نظامك من الآخر؟"

أضافت مُتسائلة.

تنهدت آلاء، ثم قالت:

"بحبه يا ويندي، بس....غريب جدًّا وغامض! وتصرفاته أغرب معايا!"

هل تعلم أنه إذا تحدثت الفتاة عن محبوبها بجملة: "غريب جدًّا وغامض" فهذا يعني ولعها الشديد به!

"يوم احس انه بيحبني و يوم احس اني عدوته!؟"

كادت أن تُذرِف سيلًا من الدموع لولا أن قالت ويندي بنبرة حادّة:

"انتي هتعيطي ولا ايه؟!... يتفلئ! سامعاني؟ يتفلئ.. طنشيه كام يوم وصدقيني... هايجي زي الكلب ويتحايل عليكي.."

قالت في شرٍّ غير مبرر، فلم تُحب ويندي ولدًا في حياتها، أو كادت أن تُحب ولكن...

أثناء ذلك أتت صديقة أخرى من صديقاتها ... دينا، تتقدم عنها بسنة واحدة، وجهها طويل ونحيل! ترتدي حجابها بإحكام، تستر كل عورة في جسدها بشال على زيها المدرسي. عيناها تلمعان، لا أعرف السبب ولكن كأنها تبكي كل يوم بسبب حُبِّها شابًا غير مُكترث لمشاعِرها تجاهه، فأصبحت عيناها كـــلون دموعها.

هكذا هن الفتيات، يعشقن من يتجنّبهن، و يتجنّبن من يعشقهن!

قالت في لهفة:

"ويندي حبيبة قلبي ازيك!...وحشتيني أوي!"

اقتربت المراهقة السمراء منها ثم عانقتها بشدة!:

"وانتي كمان والله! ايه أخبارك يا دندون!؟"

"الحمد لله تمام... كبرتِ عن السنة اللي فاتت شوفتي بقي!" قالت دينا في ابتسامة لطيفة.

"لا كبرت ولا حاجة.. أنا زي مانا صدقيني!"

ابتسمت هي الآخرى.

كانتا معًا في نشاط المدرسة الرياضي، حيث في كل عام تقيم المدرسة مسابقة رياضية داخل نادي المدرسة بالشارع الخلفي، يشترك بها البنون والبنات معًا في الألعاب! كألعاب القوى، كرة القدم، التنس... ليثبت من يكون الأفضل!...والجائزة هي التكريم، وأيضًا الشهرة الزائفة في تلك المدرسة.

بعدما فرغوا من لَغَطهم، تقدّمت ويندي المجموعة، تسير خلفها مباشرة يـــارا.. التي اقتربت منها بغتة و همست:

"ما هو مش عليا أنا الحركات دي.. مالك؟"

ثم اعترضت طريقها.

نظرت ويندي بعينيها الذهبيتين لصديقتها، كانت عيناها لا تعرفان الكذب، لا تعرفان الاختباء، لا تعرفان المجادلة والهروب من الحقيقة، عيناها...صادقتين دائمًا، ضعيفين، أيضًا قاسيتين!

"بعدين يا يارا..بعدين طيب مش دلوقتي!!"

زفرت يـــارا ثم قالت:

"صبّرني يارب.. تمام"

اقترب الفتيات منها حتى احتضننها، لتقول واحدة منهن:

"فاكرين أيامنا السنة اللي فاتت؟"

"والله كانت أحلى أيام!"

أجابت يارا.

"وهي دي أيام تتنسي!"

أضافت ويندي.

"ده احنا كنا بنجنن المدرسين!"

قالت آلاء.

"فاكرين لما مستر أدهم اشتكانا للمشرفة!"

قالت ندي.

"اه اه شوفتوا كان صوته عامل ازاي؟!"

قالت آلاء.

"البنات دول لازم يتعاقبوا عقاب شديد وعصير يا ميس دولت!" قالت ويندي بصوتٍ ساخر.

أضافت ندي:

"لا لا لا لا..... فاكرين بقى يوم ما كنا في درس العربي.. والواد اللي اسمه.. اسمه ايه ده.."

تنهدت ويندي، ثم قاطعتها: " إسلام "

"ايواا هو إسلام ده!!..شوفتي.. فضل يحاول يكلمك قدام المستر لحد ما زعقتيله والمستر طرده قاله ماتجيش هنا تاني! صحيح هو كان عاوز منك ايه؟"

أخذت ويندي نفسًا عميقًا ثم زفرت:

"بيحبني..."

"طب يعني اللي اسمعه عنه انه واد محترم جدا وكويس يعني مش زي باقي العيال.."

قالت يارا.

فتراجعت المراهقة، ثم قالت في غضب:

"يا جماعة الموضوع مش موضوع انه واد محترم ولّا مؤدب، أنا عندي مبدأ ومش هتنازل عنه..مش هرتبط في السن ده!ومش هسمح لنفسي اني أحب أصلا!! كفاية هبل بقي أنا زهقت!"

و زفرت بشدّة!

"طب إهدي إهدي خلاص..احنا متأسفين.. بلاها السيرة الهباب اللي بتعصبك دي."

قالت ندى رابتة علي كتفها. لم يكن من السهل قط أن تتذكر ويندي هذا الموضوع، فما حدث، ما زال يحبو داخل ذكرياتها، ثاويًا داخل قلبها، مُسيطرًا على مشارعها، جرحًا... لم يندمل بعد!

ما حدث، يستحيل السهو عنه!

لم ينتهين من الحديث بعد، وأيضًا لم تنته باقي فتيات المدرسة من التجول حول المدرسة بالهواتف الذكية، حديث العاشقين عبر تلك الهواتف،كانت الفتيات يرتدين ملابس ضيقة، فقط للفت نظر المراهقين من البنين!

اتخذت ويندي طريقها غرب المدرسة، حيث تقع تلك الكراسي الخشبية، لمن تعب من التجول، وها هي تجلس على أحد الكراسي، بعد أن استعادت سعادتها في النهاية مع صديقاتها، وهي الآن مُشرقة كالشمس!

أيمن

تعرّقت بشرته السمراء، نتيجة للحرارة التي هبّت بغتةً من العدم!

إنها مصرنا الحبيبة، حالة الطقس: حار جاف طوال السنة، يتبعها بعض الرياح الباردة، وينتهي المطاف، بالحار جاف مرة أُخرى!

تأمل المبنى المدرسي لبُرهة، متمنيًا لو أن يخرجه والده من هذا المكان بأي وسيلة ممكنة، فهو يكره هذه المدرسة، يكره فصولها، يكره معظم الطلاب، وعلى رأسهم بسّام، الذي لطالما استعرض عضلاته أمامه وكثيرًا ما أحرجه أمام فتيات المدرسة!

و لكن تعتبر هذه المدرسة ليست مرتفعة المصاريف كما هو حال المدارس المجاورة، وهذا لغز ينضم لقائمة الألغاز الفاقد مفاتيحها في هذه المدرسة!

فقد كان والداه من الطبقة تحت المتوسطة، فوالده يعمل فراشًا في النادي خلف المدرسة، وأمه تعمل ممرضة مسكينة تكدح داخل إحدى المستشفيات، ولم يكن هذا كافيًا للحصول على المال اللازم للمعيشة،

فبعد أن ينتهي الوالد من عمله في النادي، يسرع إلى عمله الثاني العمل بأحد المقاهي، ولم يكن هذا أيضًا كافيًا لتغطية تكاليف المعيشة داخل بلدنا العزيز!

كان للمراهق حلم طالما حلم به، حلم مسيطر على قلبه، في مخيلته أنه سهل وبسيط، ولكن سرعان ما يتذكر أنه يحمل الجنسية المصرية!...فيتراجع في يأسٍ، لأنه بكل بساطة كَرِه كونه مصريًا يعيش داخل بلدًا غريبة!...تخطف الأحلام والأماني من المخيلات، فيتبقى التخلف والركود،تأخذ العزيمة والإرادة ويتبقى اليأس والإستهتار!... ولكن ما باليد حيلة، يجب التعايش مع الأمر الواقع!

ويظل السؤال السائد في أعماق كل مصري: لماذا يحدث ذلك في بلدًا ذُكِرت في القرآن؟وأوصى المصطفي بأهلها،ولُقّبت ببلد الخيرات!

هل هذا ابتلاء من الله عزَّ وجل كي يختبر مدى تحمّلنا، و صبرنا، و إيماننا به؟ ربما...

أصبحت المدرسة مزدحمة بالطلاب، الأطفال والأشبال والمراهقون يركضون هنا وهناك، يلعبون ألعاب الاختباء!

إنه اليوم الأول، و هو من أجمل أيام العام حيث يشتاق كل صديقٍ لصديقه، وكل مراهقٍ لحبيبته. قطع تفكّيره صراخِ طفلين في شِجار، يتعاركان مع بعضهما البعض بكل ضعفٍ بجسدهما الهزيل، كان منظرهما مضحكًا للغاية!...فعيناه ترى قصيرين في عراكٍ عنيف "بالنسبة لهما"...مضحكًا بالنسبة له.

اقترب منهما بسرعة، ثم صاح:

"انت يابني ... انت يابني..."

لم يكمل جملته حتى اصطدما به:

"انت يا حبيبي!"

نظر إليهما بشفقة

"فيه ايه بتتخانقوا ليه؟"

قال في ابتسامة شحيحة.

"ياعم و انت مالك؟!"

قال الولد ذو الشعر المجعد غير المستوي

نظر أيمن إلى هذا الولد بحدّة، ثم قال في حسم:

"بتتخانقوا ليه؟"

نظراته أصبحت مرعبة للصبيين اللذين لم يخرجا من جحريهما بعد!

"والله هو اللي بدأ!"

قال الولد ذو الشعر الطويل الناعم كالفتيات

"عملتله ايه ياض انت؟"

اقترب أيمن منه ثم أمسك الولد الآخر من قميصه المتسخ، فخاف ولوهلة ظن أن أيمن أسد على وشك أن يلتهم وجبته هذا الصباح!

"أصل العيال بتقول عليه هفية!"

قال الولد.

"طب وانت مالك بيه يعني؟"

"أنا معملتش حاجة أكتر من اني ضربته على أفاه وطلعت أجري... فهو مسكني و فضل يضرب فيا."

"يا ابن الرحمة! وتضربه ليه انت مالك بيه أصلًا هو عملك حاجة؟!"

ثار أيمن، ولوهلة كاد أن ينهال عليه، ويضربه ضربًا مبرحًا لولا أن تماسك اعصابه .

"عارف لو شوفتك بتلمسه بس.. هاعورك انت فاهم؟!"

قال في حسمٍ شديد، وكانت هذه الكلمات كافية أن تجعل الصبي يهرب كقطة هاربة من كلب بوليسي!

ظل الصبي الآخر في مكانه ساكنًا، أو لنقل خائفًا ولكن سرعان ما طمأنه أيمن رابتًا علي كتفه.

" ماتخفش، لو حد عملك أي حاجة تاني قولي بس وأنا هاوريهم!" نظر له الصبي في سعادة بعدما اطمأن قلبه ناحية أيمن:

"صحيح انت اسمك ايه؟"

أضاف أيمن.

"اسمي عـــلــــيّ".

غمغم الصبي، ثم هرب هو الآخر!

انتشر الألم بكل جوارحه داخل غياهب قلبه، فلهذا الصبي قصة لن يشعر بها إلا من عاشها في مثل هذا العُمر، وبالفعل قد عاشها أيمن!

سرعان ما نسيَ الأمر واتجه نحو بوابة المدرسة العملاقة، زرقاء اللون، حيث يعبر من خلالها الطلاب، ومكانًا لمن تطوعا لحراسة البوابة كل صباح، كان عملًا ليس بالشاق، على العكس، فهو ممتع بالنسبة لهما، حيث يتم رصد كل "جيبية" قصيرة تعبر من أمام البوابة!

وهذا بالفعل ما كان يحدث، فقد كان ماجد وكريم يقفان في ثباتٍ تام، حتى إذا عبر أحد المعلمين يراهما هكذا، فيخبر المدير فيحصلان على مكافأة ثباتهما، وفي الغالب لا توجد مكافأة! فقط كلام للالتزام!

كان كريم يقف أمام البوابة، سمينًا كالفيل، له شعر متوسط ناعم، بشرة بيضاء قوقازية! بينما يقف بجانبه ماجد، قصيرًا مليئًا، ذو شعر واثب، بشرته بيضاء هو الآخر.

كانا ينظران على كل من كان يعبر أمامهما، مراهقين ومراهقات، وأيضًا أولياء الأمور، الرجال منهم والسيدات.

"تعرف يا ماجد...؟"

قال كريم، ثم نظر إلى ماجد الذي كان يغوص في بحر الملل، يزفر من فيه العريض، ينظر إلى المراهقات الجميلات منهن فقط، ويتعجب،

كل هذه الفتيات الجميلات في المدرسة، ولايستطيع أن يتحدث إلى واحدة فقط!

كانت كلمات كريم تبتر تفكيره وملله، ونظرات عينيه التي كانت ستخرج من مكانهما لإلتقاط فتاة كانت تسير بجانب أبيها، أحمر شعرها، نحيلة السيقان، ترتدي نظارات زجاجية، وتسير بهدوء بجانب والدها المُسن، مرَّت أمام عينيه كالصّبا، ثم اختفت خلف بوابة مدرسة البنات!

"تفتكر ان احنا اتخلقنا علشان نشوف زمايلنا بتمشي مع البنات واحنا نفضل واقفين هنا نُقعد نتفرج عليهم وبس؟"

قال كريم هذه الجملة وكأنه يضمغ طعامًا داخل فمه الصغير. لم يلتفت ماجد إليه، فقد كان ما زال يفكر في تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر!

فقط قال في هدوء غير مبالٍ، بدون تحريك عضلة واحدة من عضلات وجهه:

"اه."

"تفتكر يا ماجد...؟"

ثم صمت لبرهة ليأخذ نفسًا عميقًا، ثم أردف:

"إن كل البنات اللي احنا بنشوفهم دول كلهم يعني مصاحبين؟ ما أكيد فيه اللي مش مصاحب يعني مستحيل يبقي كلهم مصاحبين!"

"اه."

كرر نفس الكلمة في لا مبالاة!

"طب تفتكر يا ماجد... إن اتنين زيينا كده عمرهم ما كلموا بنت أصلا!.. ممكن عادي نروح نوقف بنت من اللي عندنا في المدرسة في الشارع و نكلمها عادي؟"

هنا التفت له أحمد بشرود، ولكنه تعجب من كلام كريم السمين! حيث قال: "نوقف مين يا حيلتها! انت فاكر نفسك في الدانمارك!"

قال في براءة:

"اه ممكن انت توقف واحدة و تكلمها .. عادي تقولها أنا بحبك من زمان وتعمل عليها حوار علشان تستعطفك وتبقى كسبتها بقى."

"يبني انت مخك تخين بالظبط زي جسمك!انت عارف أولا لو حد من مدرسة الولاد وقّف اي بنت وحد شافوا ايه اللي ممكن يحصلوا...؟!"

عَلت نبرة صوته واستعد لتقطيع شعره بيده!

"يعني ايه اللي هيحصل يعني!"

قال في براءة و لا مبالاة!

"فيها رفد يا روح طنط!"

قطع حديثهما صوت أيمن من خلفهم.

"انتوا مش هتبطلوا خناق بقى! كل يوم كده!"

قال مبتسمًا مشفقًا عليهما.

التفت ماجد له بسرعة، ثم قال:

"شوف ياعم سي كريم بيقولك ايه؟"

لم يتعجب أيمن، أو يظهر أي علامة على وجهه بسبب أن مثل هذه الأحاديث تحدث بينهما يوميًّا، إنه طفل بريء و شاب مولع بالفتيات، ولم يسبق له أن تحدث إلى فتاةٍ قط!

"قلت ايه ياعم كريم؟!"

قال أيمن في سخرية، منتظرًا ما سيقوله كريم في شغف.

أخذ كريم نفسًا عميقًا كان من الصعب أخذه بسبب جسده البدين، ثم قال: "فيها ايه لما الولد يكلم بنت في الشارع!" وما زالت البراءة مستمرة.

استجمع أيمن قواه، وقال في هدوء مبالغ فيه: "بص يبني..بص يا حبيبي.... أولًا هنا في أم المدرسة دي علشان تتعرف على واحدة، لازم يبقي ليك ملامح معينة علشان البنت تعجب بيك و..."

قاطعه كريم: "ملامح ازاي يعني ما ربنا خالق كل واحد فينا بملامحه يعني!"

زفر أيمن، ثم قال:

"يا حبيبي افهمني.. الكلام ده فوق ... عند ربنا اللي خالق كل واحد فينا بشكل معين وبملامح معينة، بس تحت هنا بقي الوضع مختلف..."

صمت لبرهة، ثم قال:

"من الآخر انت واد أمور ملامحك حلوة هتلاقي البنت هيا اللي هتجيلك وتقولك أنا بحبك و معجبة بيك و يلا نرتبط! واد تخين أو حتى رفيع بس ملامحك مش شبه (جاستن بيبر)... يبقي انسى!"

قال هذا الكلام في غضب!

في حرقة داخل قلبه، فلم يكن أيمن المراهق الوسيم ذا الملامح الجذّابة للفتيات في مثل هذا العمر، بل كأي شابٍ في المدرسة!

"اها طب برده ايه اللي يمنعك انك توقف بنت في الشارع وتكلمها!"

سؤال غبي بعيد بعد هذه الإجابة، ولكن، له الحق. فمراهق كـــكريم، لم يولد لديه الشعور بالحب تجاه فتاة! ربما بسبب جسده البدين، فمن ستقبل أن تُحب بدينًا كـــكريم؟! استرسل أيمن:

"فمن هنا يا حبيبي نعرف انك لو وقفت واحدة في الشارع وانت عندك المواصفات دي... هتبتسملك واحتمال تديك رقم موبايلها كمان!.. طبعًا ده شرط انها تكون مش مصاحبة أو انت تكون أحلى من حبيبها... و لو انت بقي واد من المجتمع القبيح.. يبقي هتصوت وهتلم عليك الناس ومصيرك..الرفد من المدرسة...شوفت بقي الموضوع مش سهل ازاي؟ "

كانت هذه الكلمات كفيلة بأن تجعل ماجد يتسمر في مكانه! بينما لم يبالِ كريم وأدار جسده ليكمل حراسته للبوابة.

كان على وجه ماجد علامات حزن، و أسى، و عدم ثقة بالنفس، فبعد ما قاله أيمن لن يستطيع أن يتجرأ في الحديث في هذا الموضوع مرة أخرى!

التفت أيمن له، ولاحظ هذه العلامات على وجهه الأبيض، ثم غمغم:

"مالك انت كمان؟"

زاغت عيناه يمينًا و يسارًا، ثم غمغم في هدوء:

"مفيش مفيش."

ربت أيمن على كتفه بحنان، ثم قال في صوتٍ كاد أن يوقظ أهالي المنازل المجاورة من منامِهم!

"طب عليا الطلاق لا انت قايل يا عم انت!"

ما زال الصمت سائدًا.

بدأ أيمن في هزِ كتفه بشدة، وهو يقول:

"يلا يا عم اخلص احنا صحاب يلّا يلّا!"

هنا أخيرًا أخرج ماجد صوته في تَهدّج:

"أنت تعرف واحدة عندنا في المدرسة..شعرها أحمر كده ورفيعة...وبتيجي الصبح مع... مع باباها؟"

قال في حزن.. فهو يعلم علم اليقين..أن السماء لو هبطت على الأرض لن يتحدث إليها أبدًا! وإذا حدث، لن تعجب به، والسبب

أنه عديم الثقة بنفسه، فماجد ليس قبيحًا..هو فقط يحتاج إلى شجاعة كافية ليواجه صعوبات الحياة!

فهم أيمن انه أُعجب بها، فقال:

"اه عارفها دي... رنا"

مبتسمًا.

زادت دقات قلب ماجد، ثم قال في تلعثم:

"ايه ده..بجد هيا اسمها رنا!.. تعرفها منين؟"

"من هاجر يا عم.. انت نسيت...؟!"

"اه معلش معلش،هاجر دي بقي عمّالة تقولك على أسامي البنات في المدرسة!"

ثار أيمن وزفر ثم قال:

"تقولّي مين يا أهبل انت! دول صحابها وأكيد واحنا بنتكلم بتجيبلي سيرتهم فــبعرفهم .. بس عمري ما كلمت واحدة منهم."

"اها فهمت... طب..."

قاطعه أيمن:

"من غير ما تقول فهمتك!...هظبطلك الموضوع ده، بس ده بيرجع لرنا بقى!"

تهلل وجه ماجد، وقال:

"ياعم أنا هفضل أدعي وأصلي طول اليوم علشان ربنا يسهل الموضوع... يارب توافق..يارب توافق .. يارب توافـــــــــ.."

قاطعه صوت حضرَ أمام البوابة:

"و مش هتوافق."

قال مبتسمًا.

أحمد

ابتسم تلك الابتسامة التي تحمل الأمل في نفوسِ البشر، فـعلى الرغم من كونه مُستجدًا هنا في المدرسة، فإنه كان يعرف ماجد وأيمن، أصدقاء الطفولةِ يُخلّدون في الذاكرة!

حتى لو مرَّ أربعة أعوام من رؤيتهما! فقد كانوا في مدرسة واحدة من قبل، حتى انتقل أيمن وماجد إلى هذه المدرسة، فكان الفراق بينهما مؤلمًا، ولكن شاء القدر أن ينتقل هو الآخر معهم أخيرًا.

كان حلمًا بالنسبة لأحمد أن يكمل تعليمه في هذه المدرسة، مع وجود أصدقائه القدامى، من الشبابِ والشّابّات، من تعرف عليهم في مدرسته السابقة، في دروسٍ خصوصية، في النادي خلف المدرسة، لذا كان سعيدًا، مُبتسمًا، عيناه العسليتان ترقصان فرحًا بسبب رؤيته لأصدقائه من جديد!

بشرته كانت تجمع بين الأسمر والقمحي، وكان طويلًا، نحيلًا، مرتديًا ذلك الرداء الدراسي لأول مرة، وحقيبته التي كادت أن يسقط بسبب ثقلها على ظهره!

مرَّ من خلال البوابة، ثم التفت إلى ماجد الذي ما زال يحاول أن يتذكر؟

"أنا شوفت الخِلقة دي فين قبل كده؟"

"مين بقى اللي انت عمّال تدعي انها توافق؟"

قال في ابتسامة.

لم يكد أن يجيب ماجد حتى أسرع أيمن بقوله:

"حبيب قلبي! أحمد باشا!"

ثم سارع و عانقه عناقًا شديدًا!

"ازيك يا أيمن! واحشني وربنا.."

"وانت كمان يا أبوحميد!... أنا والله ماصدقتش لما كلمتني من كام أسبوع و قلتلي أنك هتنقل عندنا هنا"

" أديني بقيت معاكوا اهو."

الابتسامة لا تفارق وجهه!

هنا تذكر ماجد هذا الشخص، نعم.. إنه أحمد! الذي أنقذه من ضربات ذلك الشاب القوي الذي يدعي صلاح!

بدأت أخيرًا أحباله الصوتية في التحرك:

"افتكرتك أخيرًا، عامل ايه يا كبير؟"

وابتسم أخيرًا.

التفت له أحمد،ليجده كما كان!لم تتبدل ملامحه، عيناه السوداوان، شعره الواثب، بشرته البيضاء، حتى ابتسامته، كما هي!

" الحمد لله، طوِلت يا ماجد أخيرًا!"

قال أحمد.

"شوفت بقي!"

ثم ضحك!

"مين بقى البنت اللي سرقت قلبك يا أمور؟"

قال أحمد بشغف.

أسرع أيمن بالإجابة:

"دي واحدة معانا في المدرسة، اسمها رنا، حبها من أوْل نظرة!" قال ساخرًا.

"بس ياعم الفوضاحي!"

وكزه ماجد وكزة خفيفة تذمرًا.

"ياعم أحمد مش غريب!"

قال أيمن مبتسمًا.

"سيبك ياعم من العيال دي تعالى ندخل أوريك المدرسة من جوا"

أضاف مشيرًا الي أحمد أن يذهب معه. قبل أن يخطو خطوة التفت ليرى السمين، واضعًا "الهاند فري" على أذنه ويستمع للأغاني في سعادةٍ و هدوء.

"مين الأخ؟"

قال أحمد مشيرًا بسبّابته ناحية كريم.

" ده كريم صاحبي وأنتيمي!"

أجاب ماجد.

انتبه كريم إلى أحمد، فخلع ما كان يرتديه و نظر إلى أحمد متأملًا معالمه، أهو يعرفني؟ أم أنا أعرفه؟

قطع هذا التأمل يد أحمد و هي تُمَد ناحيته.

"ازيك يا كريم!"

صمت كريم برهة، كأنه يفكر ماذا يقول؟ أو نسي ماذا يُقال بعد كلمة "ازيك!"، لحظات وأجاب أخيرا:

"أهلًا وسهلًا!"

في سرعة كالطلقة!

لم يبالِ أحمد، لأنه بالفعل قد دلف مع أيمن إلى الداخل.

أعداد هائلة من الطلبة داخل المدرسة، الكثير يركض ويلعب، لماذا السعادة تغمر وجوههم؟ خاصةً الصبية الصغار، فترى البسمة والضحك على وجوههم، ترى البراءة والخجل، عقول ذهبية بداخلها خيرات تُستَثمر،ولكن من المُستثمِر؟نعم،المواقع الأباحية هي المُستثمر!

وضع أيمن ذراعه اليمنى على كتف صديقه الصّدوق، بينما كان أحمد منشغلًا في التأمل هنا وهناك، تأمل الأطفال، الأشبال، المبنى الضخم، أشجار السور كما يطلق عليها (تقع هذه الأشجار مكان السور الذي كان يفصل بين المدرستين في السابق، ولكن مع وجود المدير الجديد، هُدِمَ السور وتم بناء مكانه هذه الأشجار).

كان أيمن كثير الحديث، ثرثارًا لأقصى درجة!...ربما شعرَ أحمد بذلك لأنه ما زال منشغلًا في اكتشاف المدرسة ورؤية من حوله، فالمشهد كان رائعًا! ليست كأي مدرسة تعلم بها، لا!... الوضع هنا مختلف! قلبه يأنس المكان، ولا يعرف لماذا؟ وينضم اللغز الثالث لهذه المدرسة لأصدقائه!

قطع كل هذا التفكير و التأمل كلمات أيمن الذي كررها للمرة الثانية بسبب عدم انتباه أحمد له:

"ايه ياعم مالك سرحان في ايه؟"

التفت المراهق له وأجاب:

"أخبار البنات هنا ايه يا أيمن؟"

قال هذه الجملة وهو يحدّق ناحية مدرسة البنات، شيئًا ما يقول له: إن لهذه المدرسة قصة، عميقة وسرية.

"انت مالك داخل سخن كده ليه؟"

قال أيمن متبسمًا، ثم أردف:

"لسه بقى لما أقولك البنات اللي عندنا."

"حد أعرفه؟"

"اها."

صمت برهة، يُحاول تذكر من كانوا في المدرسة السابقة من الفتيات.

"فاكر هاجر؟"

"طبعًا، هي هنا؟"

سأل في تعجب!

"اها يبني وبكلمها كل يوم... زي أختي ماتفهمش غلط."

"عليّا انا برده الحركات دي؟"

قال ضاحكًا، ثم أضاف:

"ومين تاني؟"

أضاف:

"ويندي، فاكرها؟"

شَعَرَ أحمد وكأن قلبه سيُنتزع من بين ضلوعه من كثرة النبض!

نعم إنها ويندي، تلك الفتاة المسيحية التي لطالما عانت في المدرسة القديمة، حيث عانت من أصدقائها، خاصّة الأولاد!

"يااااه هي لسة عايشة؟"

"اه ياعم ... دي دلوقتي بقى عندها شيلّة كبيرة أوي مافيش حتة بتروحها إلا لما بيروحوا معاها!...عكس زمان، فاكر؟"

"ربنا يجازيهم، عقّدوا البت."

"اهي دي لو شافتك والله ممكن تيجي تاخدك بالحضن!"

قال أيمن ساخرًا.

"حُضن ايه ياعم... دي مالهاش في الكلام ده، دي مؤدبة ومن المدرسة للبيت ومن البيت للمدرسة."

"على رأيك، ناس كتير أعرفهم كانوا عاوزين يصاحبوها، بس لا حياة لمن تنادي، ماعبرهمش بمعنى الكلمة ما عدا واحد اسمه إسلام، كانت هترق بس معرفش حصل بينهم حاجة فقررت إنها مش هتحب تاني!"

"أيًّا كان اللي حصل بينهم، ويندي شخصيتها قوية، قوية أوي! جدًّا! صعب انها تعمل حاجة غصب عنها أوي هي مش حابَّاها، حتى لو كان علي حساب حد بتحبه!"

"بتفكرني بمبدأ ناس كتير ماشية بيه ... لازم البنت هي اللي تبدأ بالحب، غير كده عمرك ما هتعرف تحب واحدة طول حياتك!"

"وحياتك حتى وينديماينفعش معاها المبدأ ده!"

قال أحمد ساخرًا مبتسمًا.

طال الحديث بينهما، ذكريات الماضي لا تنتهي، لا تُنسى أبدًا مهما طال الزمن، ويندي الفتاة السمراء ذات العين الذهبيتين، نعم بالتأكيد ستكون كما كانت منذ صِغَرِها! هكذا كان يتخيلها أحمد، فكانت السمراء صديقته المفضلة بين جميع الفتيات، فقد أحبها كشقيقته المسلمة، وميّزها عن بقية أصدقائه، ربما لأنه يعلم أن لهذه الفتاة شيئًا في الله! أو سرًّا عميقًا، لم يُحكَ بعد، ولن...!

زَهرة

اسم على مسمى! ملاك يجلسُ على كرسي من الكراسي الخشبية، تُفكر، وتُفكر في شيء لا تعلمه بعد!

من هي؟ وأين عائلتها؟ أحقًا من يعتني بها الآن في المنزل هو عمّها؟ الكثير من الأسئلة الغريبة تعتصر عقلها. كانت هادئة تجلس في هدوءٍ تام، ضوء الشمس يعكس وجهها الملائكي!

فبشرتها لم تكن بيضاء أو سمراء كباقي الفتيات، بل كانت تميل إلى اللون الوردي كلونِ الزهور، عيناها زرقاوان كلؤلؤتين في أعماقِ بحرٍ هادئ، تحمل الكثير من الأسرار الخفية، التي لا يعرفها أحد حتى هي!

شعرها أسود داكن، جزء منه ينسدل على عينيها التي كانت تتحدث، إلى شيء خفي، لم يره أحد عداها، فقط تريد أن تعرف إجابة لسؤالها: من أكون أنا؟

يتزين عُنقها بسلسلةٍ في آخرها فراشة فضّية لامعة لها سبعة أجنحة!

قطع تفكيرها ذلك الجرس المدرسي، الذي لطالما كان مُزعجًا بالنسبة لها ولجميع الطلاب في المدرسة، لماذا لا يحاولون أن يستبدلوه بآخرًا ليس مزعجًا كهذا! فصوته يبعث الذُّعر في القلوب! حتى يستوعب من سمعه أنه جرس المدرسة، بعدما يكون قد انفجر قلبه من بين ضلوعه!

زفر كل من كان في الساحة من البنين والبنات! فهذا موعد الشيء المهم الذي يؤثر بالفعل على جسد الطلاب (بالسلب) إنه....طابور الصباح، المقدس!

صرخت بعض الفتيات:

"يووووووه بقى ماكنا كويسين!"

والبعض الآخر من البنين:

"يا دي الرخامة!"

ولكن هذه الكلمات لا تفيد، فالواقع هو أن يستعد الطلبة لكي يصفُّوا الصفوف في سلام أو يأتي المعلمون حاملين عصيانهم، وكرعاة الغنم ينظمون الطابور!

وهذا ما حدث مع البنين! فقد أتى سبعة مدرسين حاملين عصيانهم الخشبية، الملونة منها والمتسخة! فمنهم من وجدها داخل سلة قمامة في الشارع، فأخذها!

ولكن حدث العكس مع البنات، فقد صعدت معلمة إلى المنبر لتقول:

"يلا يا بنات علي الطابور، يلا كلّوا يحضر الطابور."

صوتها المستفز جعل الطالبات تزفر وتتذمر!

"خلاص عرفنا اسكتي بقى!"

أثناء ذلك كانت تسير زهرة بمفردها، متجه إلى الطابور كبقية زُملائها، لم يلتفت إليها أحد كأنها رياح تمر! حَملت علامات وجهها الانتباه، والتركيز، في شيء ما مجهول، غير مبالية بمن حولها، تسير في هدوءٍ تام! حتى اصطدمت بها ويندي دون قصد، أثناء سيرها مع صديقاتها والضحكات تعلو من أفواههن، للحظة استوعبت ويندي انها اصطدمت بأحد، حتى قالت بسرعة:

"أنا اسفة اوي ماخدتش بالي."

لم تجب الفتاة، فقط أومأت برأسها، بابتسامة شحيحة. ولكن بدت على ويندي علامات التعجب! فهي تعرف هذه الفتاة.. ولكن كيف؟

"علي فكرة انا أعرفك، هو انتي كنتي معانا هنا في المدرسة السنة اللي فاتت؟"

سألت ويندي منتظرة الإجابة بفارغ الصبر!

أجابت زَهرة في شرود:

"اه .. أنا هنا من أيام كي– جي."

كثرت علامات الاستفهام فوق رأس ويندي، كيف لم ترها من قبل؟ وكيف تشعر أنها تعرفها؟ هو فقط شعور غريب تشعر به وهي محدقة إليها.

قبل أن تتفوه ويندي بكلمة، أسرعت زَهرة قائلة:

"إنتي ويندي... صح؟"

ازدادت علامات الاستفهام حتى أصبحت جيشًا يعسكر فوق رأسها! هي تعرفني! وأنا أعرفها، ولكن لا أتذكرها!

أخذت ويندي نفسًا عميقًا، ثم قالت:

"اها.. أنا ويندي.. انتي تعرفيني منين؟"

لم تجب المراهقة، صمتت لبرهة، مُحدقة في تلك العينين الذهبيتين، حتى أتت مُعلمة من معلمات المدرسة الفضليات وصرخت: "الطابور يا دكاترة الطابور مش وقت رغي دلوقتي."

تحركت زَهرة في صمت متجه إلى طابورها، وما زالت ويندي تتساءل: ماذا حدث؟ ثم سرعان ما تحركت هي الآخرى نحو طابورها.

والآن المدرسة كلها في انتظام، البنين والبنات في ثبات تام.. في انتظار الخطبة المملة.. وتحية العلم... والذهاب إلى ذلك العالم الممل المُسمى بـــ "الفصول".

بسّام

وقفَ مدير المدرسة على المنبر، بالتحديد على منبر مدرسة البنات، الأستاذ سيد علـــي، مرتديًا بدلته غير أنيقة، بنّية اللون، كبيرة الحجم علي جسده.وبدأ في ديباجته المملة ككل عام! أبنائي الطلبة والطالبات! كل عامٍ و أنتم بخير.

وبدأت الخطبة التي جعلت الطلابَ في حالة من الملل الشديد! خاصة أيمن الذي كان يتحرك يمينًا و يسارًا مللًا من الوقوف على الأرض الأسفلتية، أمامه أحمد الذي كان يصغي مُنتبهًا، فهذه هي السنة الأولي، في السنة المقبلة سيكون الأمر مختلفًا بالتأكيد!

لم تكن ويندي تُبالي بما يُقال، فقد كانت في عالم آخر داخل غياهب عقلها، سارحة في ما يحدث مع أبيها و زوجته الجديدة، في أمورٍ عدة، أمورٍ لا يُستهان بها، أمورٍ أفضل مائة مرة من سماع خطبةٍ كهذه!

كانت زهرة تقف ثابتة، في هدوءٍ شديد، تتمنى لو أن ينفجر الميكروفون في وجه هذا المدير الثرثار!

أثناء الخطبة ضُرِبَت البوابة بقوة! كأنما حدث انفجار شعر به كل من كان في المدرسة، والشارع! ليدخل خمسة مُراهقين عبر البوابة، بسّام و أصدقاؤه.

"ياهوووووووو!"

هتف بسّام بأعلى صوته، غير مكترث أنه يوجد طابور من الأساس! وجاءت الصيحات من ورائه:

"أيوه بأأأأى! "

كان يقتادهم بسّام، أنه طويل كشجرة، قوي مفتول العضلات، وسيم جذّاب للفتيات! عيناه زرقاوان كــلون السماء، وشعره طويل يكاد أن ينسدل من وراء رأسه.

كان يسير كأنه في حلبة مصارعة رومانية، مع أصدقائه الذين يشبهونه تمامًا في بنية الجسد!

عُــــمر....أدهم....طارق....بشّار

اقتربوا أخيرًا حتى وصلوا إلى الطابور، ليخلع كل منهم حقيبته ويُلقيها بجانبه على الأرض بإهمال و لا مبالاة!

ترددت همسات الطّلاب المراهقين منهم والأطفال، جميعهم أجمعوا في صوتٍ واحد:

" بسّام، بسّام، ده بسّام! "

حتى همس أيمن لــصديقه أحمد:

"يادي اليوم اللي مش فايت!"

التفت أحمد إليه سائلًا: " ليه؟...هو مين ده؟ "

"ده بسّام يا سيدي... اللي ماسك المدرسة من جذورها!"

همس أيمن في رعب!

"وماله ده يعني؟ ومالك خايف كده ليه؟"

تعجب أحمد من رعشة يد أيمن!

"كل اللي أقدر أنصحك بيه، خليك في حالك.. خليك بعيد عنه، حتى السنة اللي فاتت الأطفال هنا عملوا حملة مع نفسهم اسمها ابعد عن بسّام!... و التزموا بكده... "

" يمكن! "

كان مُبتسمًا كعادته، نظراته تحمل ثقة في النفسِ عالية، لحظاتٍ وتوجه معلمًا من كادر المعلمين الذي كان يقفُ وسط الطابور، يُقالُ إنهم يقفون لحماية الطوابير.. ولكن مِن مَن؟!

سَحَبَ المعلم بسّام بعنف، وقال له:

"بدل مانت واقف عمّال تتعوج كده تعالي علشان هتحيي العلم وزمايلك هايرددوا وراك!"

نظر بسّام إلى المعلم نظرة غضب ووعيد، ثم همس:

" أخر مرة تلمسني تاني انت فاهم!"

نظرة شر لن ينساها المعلم طيلة حياته!حتى إنه هَلَعَ وترك ملابسه المخالفة لزي المدرسة...

ابتسم بسّام .... ثم قال و هو يقف أمام الطوابير:

"ايه يا بنات ايه أخباركوا؟ لسه مابقتوش رجالة صح؟ تقريبًا لسه هنشوف دلوقتي و أنا بقول التحية"

قال في سخرية جعلت كل من كان واقفًا يشعر بحرقة بداخل أنفسهم الضعيفة أمامه! ثم توجه ناحية العلم الذي كان يتطاير فوق السحاب!

"جاهزين يا....."

قال في سخرية، وابتسامة شريرة.

"تحيا جمهورية مصر العربية!"

ثم ردد الطلاب وراءه.

"تحيا جمهورية مصر العربية."

التفت لهم وقال في سخرية:

"ما احنا اهو بقينا رجاله أهو!"

أكمل تحية العلم،رددها ثلاثة مرات حتى انتهى وعاد إلى الصفوف مرة أخرى مبتسمًا ابتسامة غريبة!

ونفس الحال مع الفتيات، كانت الفتاة المسماة بـــسلمى، تقف أمام العلم وتصرخ:

"تحيا جمهورية مصر العربية."

والجميع يردد خلفها.

"انتباه بعد اذنكوا، يلا،كله على الفصول في نظام."

مع سماع هذه الجملة بدأت الصفوف تتحرك نحو المبنى. التلاميذ يتدافعون في عنف، من يصل متأخرًا يكون دجاجة محروقة! ولكن

العكس مع الفتيات، فكن يسرن في هدوءٍ وانتظام، حتى صعدن السلالم، ودخلت كل فتاة إلى فصلها، سواء كانت من الطابق الأول والثاني من ابتدائي، أو الثالث و الرابع من إعدادي، أو الخامس والسادس من الثانوي.،أو....الطابق السابع......التي توجهت ويندي نحوه!

وصل أحمد وأيمن حتى وقفا أمام باب الفصل، تمنى أن يشاء القدر و يحتويها فصلٍ واحد! ولكن يعود هذا على ورقة الكشف، التي همّ أيمن بقراءة محتواها.

"أحمد حمدي، أحمد سالم، أحمد عطية، أحمد عبدالفتّاح..."

قاطعه أحمد بسرعة:

"أيوه، أنا أحمد عبدالفتّاح!"

التفت أيمن له، ثم أومأ برأسه متمنيًا أن يجد اسمه في هذه القائمة.

"أحمد عبدالرؤوف، أيمن صلاح، أيمن عبدالله...."

بالفعل، اسمه حاضر في الورقة!

" أيوه، أنا أيمن عبدالله! أنا معاك في نفس الفصل!" وثبَ أيمن إلى داخل الفصل سعيدًا، وأحمد وراءه شاكرًا ربّه أنه عاد مرة أخرى إلى صديقه الصدوق.

اختار أيمن مكانه للجلوس، ثم أشار إلى صديقه بالجلوس بجانبه، كانت الدكة الأخيرة بجانب النافذة المفتوحة، حيث تسقط أشعة الشمس منعكسة عليها.

" ده بقي مكانّا لآخر السنة، قشطة!"

قال أيمن، في سعادة.

"قشطة يا باشا... بس اشمعنى اخترت آخر مكان يعني؟"

سأله أحمد في تعجب من اختيار هذا المكان! فالجميع في بادئ الأمر يفضل الجلوس على الدكك الأمامية،كنوع من أنواع الاستماع جيدًا للمعلم، ثم التفوق.

ده عند أُمه!

و لكن سرعان ما أجابه أيمن إجابة لم ترح صديقه:

"هتعرف كل حاجة في وقتها؟"

سرعان ما دخل معلم الأحياء، الأستاذ محمد أشرف، كان أصلع ضخمًا، شاربه الرمادي يتدلّى من فوق فمه العريض! يرتدي ذلك المعطف الأبيض، ممسكًا بدفتر الشرح في يده اليمني، وعصا خشبية قصيرة للضرب، في يده اليسرى!

لم يكن قد اكتمل حضور جميع الطلاب بعد، فقد كان من يسير ببطء، ومن يدخل الحمام من دون سبب! عدد قليل كان بالفعل جالسًا على الدكك، حتى أتى بسّام.

كالعادة كل عام، وكل يوم، يجب أن يسبب هو وأصدقاؤه إزعاجًا للطابق! فقد دَخل بسّام وهو يغني، وأصدقاؤه يرددون ما يقول في الطابق خارج الفصل، يخطو ببطء وبهدوء، جسده الطويل يجعله يرى ما في الفصل كأنما يقف على شرفة من الطابق العاشر رافعًا

وجهه إلى السماء، متكبرًا وواثقًا بنفسه، أيضًا، كان أدهم يخطو وراءه ببطء، ممسكًا بحقيبته في استهتار، ينظُر إلى كل من في الفصل باحتقارٍ شديد! كأنه من عائلة حاكمة في أوربا!

سرعا ما جلسا بجانب بعضهما البعض، في الدكة الأخيرة، في منتصف الفصل، وكل الفصل ينظر إليهم في رهبة غير مبررة حتى الآن!

ويندي

ها هي الشمس قد أشرقت ، وأصبحت أشعتها تغمر كل ركن من أركان مبنى الفتيات، حتى أن الهواء البارد لم يعُد له أثر على جسد ويندي الهزيل! حيث كانت تقف مُتخشّبة أمام تلك السلالم المؤدية الي هذا الطابق، مُترددة: هل أستجيب لفضولي الذي لطالما أمرني أن أصعد وأري مالم يَرَهُ البشر! أم أذهب إلى فصلي شاكرة مريم العذراء أنها حَمتني من شرِ نفسي، وفضولي!

فـــعلى الرغم من أن يديها الصغيرتين تختلجان من الخوف، أو من مجهولٍ هي لا تعلمه، ولكن كانت تملك الشجاعة الكافية لكي تصعد بنفسها وتضع حدًّا لهذا الصراع الداخلي الذي يحدث بداخلها. لم يكن هناك من يهتم بالنظر إلى فتاة مجنونة على وشك الصعود إلى الطابق الأعلى، فقد كانوا منشغلين في قراءة أسمائهن في الكشوف، حَالمات أن يستجب الله لهن، وتصبح كل مجموعة أصدقاء في فصلٍ واحد، أيضًا كان المعلمون والمعلمات يسيرون هنا وهناك، تحمل وجوههم كلمة واحدة: (الملل)!

شيء ما يقول في أعماقِها: إنها يجب أن تصعد لكي تكتشف سرًّا لم يكتشفه أحد من قبل! نعم إنها الشهرة! ويندي الفتاة التي لطالما كرهها الجميع في المدرسة القديمة، الآن تحل لغز الطابق المجهول! هذا من فعل وساوس الشيطان الذي كان يقف بجانبها، يردد كلماته في هدوء: هيا اصعدي، لا تكوني جبانة، ماذا ستقولين في حقِ نفسك؟ أأنا انسانة تهاب الطوابق!؟

حتى استسلمت له،وبدأت قدماها تخطوان بهدوء، صاعدة السلالم، ببطء، وحذر، لم تكد أن تصل إلى السلمة الرابعة حتى انتفضت عندما سمعت صوتًا نبت من العدم خلفها!

" مانصحكيش."

التفتت ويندي بسرعة، في ارتجاف ما بين الخوف والشجاعة، فكانت على وشك أن تختفي عن الأنظار، حتى نبت صوت زَهرة من خلفها بهذه الكلمة!

ثم أردفت:

"لو أنا مكانك،كنت هختار الاختيار التاني، أرجع الفصل وأشكر سِتنا مريم إنها حمتني من شر نفسي!"

تسمرت في مكانها، تُحدق في هذه الفتاة الغريبة في نظرها في خوف، تريد أن تفكر بماذا تجيب، ولكن.. يبدو على زهرة أنها ماهرة في قراءة الأفكار!

تشجعت السمراء، حتى قالت:

"هو انتِ عمرك جّربتِ تطلعي الدور ده؟"

سألت هذا السؤال وهي لا تعلم لِمَ سَألته!

أجابت زهرة في هدوءٍ شديد، حيث كانت تقف في ثباتٍ تام، كـــخيال المآتة!

"نِفسي، بس عندي ألف سبب يخليني أفكر 100 مرة قبل ما أتخذ خطوة زي دي!"

كانت نظراتها مخيفة إلى حدٍّ ما بالنسبة لـــويندي، التي تتمنى لو طال الحديث بينهما، حتى تتعرف أكثر على هذه الفتاة!

"وايه اللي منعك؟"

"حاجات كتير."

أجابت في هدوء، ثم أضافت:

"أولهم اني لسه صغيرة، وعايزة أعيش حياتي وأكبر في سلام."

"هو انتي مصدقة الكلام اللي بيتقال عن الدور ده أصلا!؟"

"ومالك بتترعشي كده ليه؟"

نظرت زهرة إلى جسدها الذي كان ينتفض في كل ثانية!ثم انسحبت في هدوء.

علِمت ويندي أن ما قالته ما كان يجب أن تقوله، فهي تعلم أنها خائفة من شيء ما بالأعلى، شيء ما يهمس في ظلمات الليل ينادي، وينادي.

أيمن

حضر جميع الطلاب أخيرًا إلى الفصل، وما زالت النظرات توجه إلى بسّام وأدهم، المتكبرين، فكل من بالفصل يعلم ماذا إذا غَضِب بسّام من أحد، ماذا يمكن أن يحدث له؟ هناك شيء غريب حول هذا الفتى الطويل!

قبل أن يبدأ المعلم في الحديث، كان أيمن منشغلًا بهاتفه الذي فقد الاتصال بالشبكة، وكانت النتيجة هي لا وجود للإنترنت!

زفر بقوة، وتذمر، حتى أن صديقه الصدوق سأله:

"ايه يبني مالك بتنفخ كده ليه؟"

لم يلتفت أيمن له، حرك شفتيه فقط، وهو يحاول إصلاح العطل الذي حدث:

"أم النت مش عايز يشتغل!"

تعجب أحمد من هذا الكلام، فـكيف سيتمكن من الدخول على الإنترنت أمام المعلم وهو يشرح؟

التفت أيمن له، ثم ضحك بسخرية قائلًا:

"اه صح.. مانا نسيت أقولك، كل يوم لازم ندخل على الفيسبوك، يعني نرغي مع بالبنات صحابنا، نقعد نعمل لايك علي أي بوست.. أهو أدينا بنضيع في الوقت لحد ما الحصة تخلص."

"اها اها... تمام.. ودلوقتي انت مشكلتك ان النت مش عارف تشغله؟"

تذمر أيمن:

"زي ما انت شايف... مش عارف ماله ده!!.. ده حتى مش وقته".

سأله أحمد ذلك السؤال الذي اعتبره أيمن سؤالًا سخيفًا:

"هو فيه حاجة مهمة المفروض تعملها دلوقتي يعني؟"

أجاب:

"مانا قلتلك يبني...ده بقي قانون هنا.. مش معاك موبايل بـنت تبقى عيل لسه بترضع من أمك!"

أجابه بسخرية:

"يا راجل!"

"ده غير اني المفروض أكلم هاجر بعد شوية."

أضاف:

"حبكت تكلمها دلوقتي يعني!"

"اه ياعم، أصلها وحشتني! "

هنا غمغم أحمد:

"هو انت مش قلتلي انها زي اختك..وبس؟"

تذمر أيمن و بدأ في الإنكار: "طب ما هي فعلًا أختي..هو انا قلت حاجة تانية غير كده؟"

ثم التفت إلى هاتفه مرة أخرى ليجد نفسه أخيرًا قد دخل إلى عالم الإنترنت!

"هييييييه! النت اشتغل!"

صاح الغبي!

التفت الزملاء نحوه في تعجب من هذا الولد الأحمق، هو وصديقه، ولكن سرعان ما بدأ المعلم أخيرًا وبعد طول انتظار في الحديث:

"على فكرة في اتنين من زمايلكوا مش موجودين.. حد يعرف هما فين؟

لم يجب أي أحد، فقط كانوا منشغلين في الصراخ، الرقص، الغناء، و التطبيل!

"ياجدعان أنس و راشد.. همّا فين"

كان كالملاك، واضعًا دفتره أمامه على الطاولة، ولكن سرعان ما تبدلت ملامحه إلى وحشٍ مفترس، ثم أمسك بعصاه الخشبية.. وصاحَ في الجميع:

"بصّوا بقي، أنا أصلًا مش مُدرس! فـــمن أولها كده علشان نبقى على وضوح، اللي هيشاغب، هيعمل دوشة.. فاكر نفسه ظريف ابن ظريفة، طب بصّوا.. قسمًا بعزة جلالة الله.. لا يكون مطرود بره الفصل وهو متهزأ! اتفقنا؟"

لم يتجرأ أحد علي الرد أمام هذا الغول، و لكن سرعان ما كرر هذه الكلمة: " اتفقنا؟؟" في غضب

لم يجب أحد، فقط نظرات تنظر في خوف، من أن يتهور هذا المجنون، و يضرب أحدًا منهم بهذه العصا التي في يده!

أردف بعد صمت الطُلاب:

"على فكرة، أنا هبدأ أول حصة من الأُسبوع اللي جاي، في السنتر اللي هو بعد المدرسة بشارعين، ياريت تيجوا علشان هتستفيدوا."

حدّق في أعينهم الجوفاء، وأفواههم المُغلقة، فتابع مُهددًا: "طيب، من الآخر، اللي عاوز يجي.. مرحب بيه، اللي مش عاوز، هو حُر! بس مايجيش يعيط في آخر السنة!"

هاجر

السماء صافية، لا توحي بأنها ستمطر اليوم، فالهواء أصبح باردًا، يُصيب من يستنشقه بزكامٍ حاد!

ولكن على الرغم من برودة الهواء، فإن أنس وراشد كانا مختبئين خلف تلك الأشجار الفاصلة بين المدرستين، أعينهم ترمُق كل فتاة تكون معها الكرة! فـــهذه حصة الألعاب الأولى لفصل ويندي، التي كانت جالسة علي الكراسي الخشبية وبجانبها صديقتها آلاء، تراقبان فريقهما المهزوم.

"شايف ياض اللي أنا شايفه؟ " همس أنس، رامقًا مُنحنيات جسد تلك الفتاة التي أخذت تركض بالكرة!

"هاااااااح! اه يا عم .. اهي دي مستقبلها حلو."

أجابه راشد:

"طب شوف دي... يااااااه!"

أضاف بعد نظرته لـــفتاة أخرى:

"بقولك ايه.. انا مابقتش قادر! هما بيجيبوا البنات دي منين؟!" قال أنس، ماسحًا الساحة بعينيه حتى يرى جميع الفتيات.

"البت ويندي اهي.. قاعدة هناك."

قال راشد، عندما انتبه للسمراء وهي جالسة في هدوء، فبالرغم من ثرثرة صديقتها بجانب أذنيها، فإنها لم تكن في عالمنا!

التفت له أنس وقال:

"لأ مالكش دعوة بـــدي.. دي مع نفسها."

أخذت هاجر الكرة، وهمّت بالركض سريعًا نحو مرمى الفريق المهزوم، ولكن سرعان ما انزلقت بفعل على الأرض الأسفلتية قبل أن تصل إلى المرمى.

صاح الجميع واتجهوا نحو الفتاة الملقاة على الأرض، كانت هناك صدمتان بالنسبة لها.. الهدف الذي ضاعَ، والانزلاقة المُباغِتة أمام زميلاتها.

هنا صاح أنس وراشد بأعلى صوتهما:

"أوباااااااا"!

شعرا بأنفاس خلفهما، التفت أنس أولًا ليجد مدرس الألعاب في البنين، يرمقهما في هدووء شديد مبتسمًا.

***

"انتِ كويسة؟"

صاحت رنا ذات الشعر الأحمر، ممسكة بأيدي صديقتها المتزلقة، التي اتسخ بنطالها الرمادي.

"الحمد لله، أنا كويسة."

أجابت في هدوء.

"طب انتي ممكن لو رجليكي وجعاكي نتزل تقي مكانك."

"أنا فعلا مش قادرة أكمل. هاروح أقعد على الكراسي اللي هناك."

كانت تتألم، أصابعها تلامس فخذيها النحيلين،وسرعان ما اتجهت نحو الكراسي الخشبية في ألم، وهدوء.

كانت متوسطة الطول، بيضاء البشرة، شعرها طويلًا بنيًّا، عيناها سوداوين، تحملان التعب والإرهاق.

أمسكت بحقيبتها التي كانت على الكرسي الخشبي، وأخرجت هاتفها، لتجد رسالة من أيمن على الواتس أب:

"وحشتيني".

ابتسمت، ثم جلست على الكرسي، وسرعان ما لامست أصابعها الرفيعة شاشة الهاتف، لتجيب:

"بس ياض!!"

وصلت الرسالة سريعًا الي هاتف أيمن، الذي كان ممسكًا به في شغف، منتظرًا وصول هذه الرسالة بفارغ الصبر! ابتسم عندما قرأ الرسالة، وسرعان ما أجاب:

"برده وحشتيني."

ثم أرسل......

لم تمر ثوانٍ حتى كتبت أصابعه: "بحبك." وأرسلها.

التفت أحمد إلى صديقه السعيد، ليهمس:

"أيوه بقى يا عم!"

كان مراقبًا لما يحدث داخل هاتف صديقه، ولكن كأنه يجهل أمام أيمن!

التفت أيمن له في هدوء:

أيوه بحبها.. وهي كمان بتحبني.. وأنا وعدتها اننا لما ندخل الجامعة هتقدملها رسمي... إن شاء الله يعني."

"هي مش كانت أختك من شوية يا بني انت!"

"بصراحة أنا مش قايل لحد.. وماكونتش عاوز أقولك بس علشان انت صاحبي بس."

فركت هاجر شعرها بأصابعها، وهي مبتسمة.. كتبت:

"يا بني انت مش هتبطل حركاتك دي بقى!"

ليجيب عليها:

"ماهو أنا مش بعمل حركات ولا بمثل، أنا فعلًا بحبك."

مبتسمًا

ابتسمت هي في حنان، كأنها تريد أن تسمع هذا الكلام الآن، لِيُطمئِن قلبها الصغير، ويعود إلى الحياة من جديد، بعد ما كان غائبًا عن الوعي، بسبب ذكريات الماضي الأليمة!

ويندي

كان عقلها يحمل في طيَّاته ذكرياتٍ لا تُنسى، خالدة هي في غياهب عقلها، في عالمها مدفونة، مشاعرٌ غريبة تنتابها، تجلعها تنتفض في جلستها الهادئة، تجعلها تشعر بالحنين، والألم، خليط مُزعج من المشاعر لا تعلم سببه، حتى دمعت عيناها من تلقاء نفسها، سالت على خديها، حتى سقطت على بنطالها، لتُحدِث بقعة ثارت كفيضان من الأسرار، كنز لم يُعثر عليه أحد بعد!

بَتَرَ تفكيرها صوت معلمة الألعاب وهي تنادي:

"ويندي!"

رفعت رأسها حتى قفز شعرها في الهواء لثانية، ثم عاد مرة أخرى إلى موقعه، لترى المعلمة غاضبة وتقول:

"أنا مش بنادي عليكي! انتي اطرشيتي ولا ايه؟"

لتمسح دموعها بسرعة، دون ملاحظة المعلمة التي كانت تقف بعيدة عنها، ممسكة بالكرة التي قد فقدت هواءها بسبب أقدام الطالبات.

"أنا آسفة يا ميس، كنت سرحانة."

في ابتسامة هادئة.

"ولا يهمك يا حبيبتي.. اطلعي بسرعة هاتي مفتاح الدولاب بتاع الكور علشان الكورة زي مانتي شايفة.. الله يرحمها."

"فوق منين؟"

"من أوضة المدرسين في الدور السادس..هتلاقيه جوا درج المكتب الصغير ده...اللي جنب الباب على طول."

أومأت برأسها:

"أوكي حاضر."

ثم أسرعت إلى المبنى صاعدة على السلالم..تمر عبر الطوابق والفصول، نعم هذا كان فصلها عندما كانت في عمر الخامسة عشرة! وهذا فصلها عندما كانت في عمر السادسة عشرة! ذكريات لا تُنسى.. تدور حول عقلها كدوران الكواكب حول الشمس! لا تهدأ! لا تتوقف.

كانت تركض كالطفلة، تُدندن أثناء صعودها بين الطوابق أُغنية للساحرة (ماري بلاك) **Song For Ireland**

who try to ،Talking all the day with true friends make you stay

singing songs to pass ،Telling jokes and news the night away
like silver Watched the Galway salmon run dancing darting in the sun
Living on your western shore saw summer asked for more ،sunsets
I stood by your Atlantic sea and I sang a song for Ireland

لا تعلم لماذا تشعر أنها سعيدة رغم مشاعرها الحزينة، غريبة هي تصرفاتها، لا تحمل ما بداخلها على الإطلاق!

ويندي هي التناقض يسير على قدمين!

دَلَفت أخيرًا إلى غرفة المعلمين الكبيرة، نظرت إلى المكتب الصغير، ثم أسرعت في فتح الدرج الأول لتخرج المفتاح الصغير، كان مفتاحًا يتيمًا صدئًا، أغلقته بقوةٍ تحمل ما بداخلها من توترٍ وعنف! رغم غِنائها!

خَرَجت من الغرفة تسير وهي تنظر إلى هذا المفتاح الصغير، تحدثه في جنون!

"بقى انت بقى اللي مطلعني كل ده!! لما انزل هرميك في وش الميس! "

كادت أن تصل إلى السلم المؤدي إلى الطابق الخامس، ولكن شيئًا ما جعل خُطاها تلتصق بالأرض!

في بادئ الأمر كان شعورًا، بشيء ما يراقبها، ولكن سرعان ما اختفى هذا الشعور، لتسمع أذناها همسات تأتي من الطابق الأعلى.. السابع!

التفتت خلفها لتمسح المكان بعينيها، ولكن لا شيء! فقط همسات، تأتي من الأعلى، لا تعرف ماذا تفعل؟ أتصعد إلى هذا الطابق وترى ما يحدث بالأعلى؟ أم تركض بأقصى سرعتها وتخبر المعلمة بما سمعت؟

كانت في حيرة، فالهمسات بدأت تعلو وتعلو، تخترق أذنيها كالصاعقة! لا تدري.. ماذا يتحتم عليها فعله؟ خطَّت قدماها حتى وصلت إلى السلالم المؤدية لهذا الطابق، حاملة جسدًا يرتعش! عيناها كانتا تمسحان المكان في هيستيريا، نعم، هذا هو القرار الصحيح يا ويندي..هيا، اصعدي إلى أعلى واكتشفي ما يحدث بالأعلى!

كانت تستمع إلى هذه الكلمات التي اصطدمت بأذنيها الصغيرتين، إنه شيطانها الماكر، الذي يطاردها كـــذكرياتها.

صعدت عدة سلالم، ببطء، بهدوء، بخوفٍ يسود قلبها الذي زادت نبضاته، وأصبحت مسموعة كالطبل! شعورٌ ما يراودها وهي تصعد السلالم، تأنيب الضمير، أو الندم.. فــماذا إذا حدث أي مكروهٍ لها؟ هل ستتقبل شقيقتها الوحيدة اختفاؤها؟ أم كيف ستتركها هي وحيدة مع هذه المرأة المغربية في المترل؟ تريد أن تتراجع، أن تعود من حيث أتت، ولكنها بالفعل أمام الباب الخشبي الكبير المفتوح نصفه!

اقتربت ببطء، حابسة أنفاسها بسبب رؤيتها أجسام تقف خلف هذا الباب في ثباتٍ تتحدث، بلغةٍ ليست مفهومة، غريبة! حتى إنها ليست كأي لغة سمعتها! فقط استطاعت أن تلتقط بعض الكلمات:

Sizth morgakht arianzte kalgharbakhal ichrebe Zarla!

Ichrebe Zarla!

في بادئ الأمر رأت ويندي عشرة أقزام يقفون في ثبات، يلتفون في دائرة، وفي منتصفها قزم يقف بلا حراك، قدماه مُلتصقتان بالدماء التي انسدلت من تحته، كأنه منتظر أن يحدث شيء ما! ممسكين بأيدي بعضهم البعض في هدوء تام! و يتحدثون بسرعة فاقت البرق!

***

أقسم يإلهي، أنني رأيتهم، كانوا أقزامًا يرتدون معاطف حمراء اللون، تغطي أجسادهم المنقوشة برموزٍ لم أفهمها! بدا ذلك عندما عرَّى واحد منهم ذراعه من كمّه، كانت ذراعه مليئة برموزٍ غريبة، حروفٍ مبعثرة في مسامه، لم أفهم ما هي، فلم تكن حروفًا للغة أعرفها، أو حتى أجهلها، فأنا على دارية بمعظم حروفِ لغات العالم، وهذه الحروف، لم أر مثلها من قبل! أفواههم تتحرك في سرعة لا مثيل لها! الكثير من الكلمات من هذه اللغة كانت تؤثر في ذلك القزم، في المنتصف، حيث يقف في ثباتٍ شديد! منتظرًا قدرًا لا أعلمه.

ذلك القزم الذي عرَّى ذراعه، تقدم نحوه، وهو ما زال يردد تلك الكلمات بسرعة هيستيرية! وسرعان ما ربت على كتف المنتظر،

بهدوء شديد، نظر له القزم المنتظر، عيناه لم تكونا كأعين البقية، فكانت سوداء تلمع في ذلك الظلام الحالك، الذي ينيره أضواء الشموع التي كانت على وشك الانتهاء! سرعان ما بدأ المُنتظر في البكاء! نعم، بكاءً هيستيريًا، كطفلٍ رضيعٍ تائه بينهم.

ماذا يجب أن أفعل؟ ظللت أراقب ما أرى في خوفٍ وفزع! غياهب المشاعر كانت تتدفق إلى قلبي كالفيضان، مشاعر لم أشعر بها قط! أهذا خوف، أم حزن، أم فرح لرؤيتي لهذه الكائنات التي لم يسبق لي أن رأيت مثلها من قبل!

سرعان ما انتهى صراخ هذا القزم، عندما أخرج ذلك القزم سكينًا من العدم، ودسه داخل حلق ذلك الباكي! ثم أسقطه ببطء حتى قسمت رئتيه إلى نصفين، ثم أحشاءه! ثم عضوه التاسلي، حتى انفجرت الدماء في المكان كثوران بركان! وما زالت الكلمات تنطلق من أحبالهم الصوتية، لا تتوقف! كم سريعة هي! وددت لو أن تنشق الأرض وتبتلعني! ولكن هذا ليس زمن المعجزات، أردت أن أصرخ بأعلى صوتي! فلم أتحمل ما رأيته، حتى وضعت يدي على فمي بعد أن انطلقت نصف صرخة من صرخاتي المفاجئة التي انبتهوا لها جميعًا.. حدّقوا إليّ في هدوءٍ تام، بعيونٍ تريد أن تقول: لقد رأت كل ما حدث!

يالهي! لقد رأوني! لقد رأوني! ماذا أفعل؟

التَفَت خلفي و هربت، ركضت بأقصى سرعة أمدَّني بها ربي، أنزل السلالم وثبًا! قلبي كاد أن يخرج من بين ضلوعي، فماذا يجب عليه أن

يدق من أجله؟ الخوف أم الهروب؟ أم تلك الدماء التي انهمرت! أكره الدماء! أكره اللون الأحمر!

لم التفت ورائي، وثبت من على السلالم مُهرولة، بسبب سرعتي.. بسبب ذُعري! بسبب غبائي! ما كان يجب أن أستمع إلى نفسي، التي أرادت قتلي!

***

خرجت ويندي من المبنى، مُجهدة كأنها كانت في سباق الماراثون!.. دقات قلبها تعلو وتعلو، تريد أن ان تخرج من هذا الجسدَ الهزيل، الذي أنهك من النزول السريع!

سرعان ما وجدت صديقاتها متوجهات إلى المبنى، يبدو أنها تأخرت وطال انتظارهن حتى انتهت الحصة قبل ضرب الجرس، لا ترى أمامها، هي.. لا تبالي صراخ المعلمة:

" ويندي...ويندي."

دقائق صغيرة، ثم سقطت على الأرض، فاقدة للوعي!

***

"لقد مَللت من الانتظار!"

"صبرًا يا عزيزتي، فهي تعرف كيف ستحضرها إلى هنا!"

" ما زلت أتساءل يا مارجي، هل ستصدق فعلًا أنني شقيقتها؟"

"بالطبع لا يا عزيزتي، ولكن هُنا يأتي دورك، في إقناعها أنَّكِ شقيقتها!"

"رغم أنني لم أرها قط! ولكنني أشعر بالحنين إليها، وأتمنى رؤيتها بأسرع وقت، حتى نبدأ رِحلتنا هذه!"

"لا تشغلي عقلك يا عزيزتي، فلا زال هُناك مُتَّسع من الوقت، حتى بِدء تلك الرحلة!"

أميرة

في مدرسة أخري بإحدي المحافظات..

أحبالها الصوتية كادت أن تُبتر من حلقها، فالصرخة لم تكن كباقي صرخاتها الاعتيادية، فقد روَّع كل من بالفصلِ بهذه الصرخة! حيث كانت المعلمة تقف في ثباتٍ وخوف، فقد كانت تشرح الدرس في هدوءٍ وسلام، ولكن، بعدَ هذه الصرخة، أسرعت نحو أميرة التي كانتً فاقدة للوعي، قاطعةً لأنفاسها، بعدما كانت تنظر إلى شيء ما يقف بجانب المعلمة، يقف في ثباتٍ وسكون محملقًا لها، ويبتسم!

حُملت الطالبة من قِبل المعلمين الذين أتوا بسرعة بعد سماع صراخها، وضعوها على سريرٍ في غرفة الطوارئ بالطابق الأول، سرعان ما حضر الطبيب، وكشف على الحالة، التي كانت تختلج ببطء في مكانها. لم يَرِد المدير أن يخبر عائلتها بما حدث إلا بعدما تستفيق و يطمئن عليها بنفسه، حتى استفاقت بالفعل من غيبوبتها، فاقدة للشعور، تُحدق في دهشة شديدة في من حولها.. فكانت الغرفة مليئة بالمعلمين و بعض من أصدقائها المقربين.

"هو أنا فين؟"

همست في هدوء، و بصرها يزوغ يمينًا ويسارًا في تعجب! ما الذي أتى بي إلى هنا؟

"حمد لله على السلامة يا أميرة."

رُددت هذه الجملة من أصدقائها والمعلمين جميعهم، والمراهقة في حالة صمت!

تقدمت إحدى صديقاتها إليها، وقالت:

"ايه الحصل يا حبيبتي طمنيني عليكي!"

تجاهلتها المراهقة، وقالت: "

هو أنا ايه اللي جبني هنا أصلًا؟!"

سرعان ما أجابتها المعلمة:

"إنتي كنتي زي المجنونة يا أميرة! عمّالة تصرخي وسط زمايلك.. لحد ما جبناكي هنا ودكتور أمجد كشف عليكي وقال إنك كويسة وزي الفل!"

ردت أميرة عليها بسرعة:

"طب ما أنا فعلًا كويسة وزي الفل!.. فيه ايه؟"

نظراتها لم تكن ثابتة على الإطلاق! كانت تتنقل من شخصٍ إلى آخر! كأنها فقدت الذاكرة وتحاول أن تتعرف عليهم من جديد.

سألتها صديقتها:

"ايه اللي انتي بتقوليه ده! أنا صرخت!؟"

اتَّسعت عيناها اللتان تتمشى عليهما العُروق الحمراء!

"انتي مش فاكرة يا أميرة و لا ايه؟"

قالت:

"ده انتي رجّيتي الفصل من صرختك!"

أضافت متمنية تذكر صديقتها بما حدث، وإلا..فصديقة عمرها ستكون مجنونة!

انسحبت عيناها بهدوء، وأسقطتها على فراشها، قائلة:

"أنا كل اللي فكراه اني كنت قاعدة في الفصل مركزة مع ميس مروة و بعد كده... لقيت نفسي هنا!"

تعجب كل من كان حاضرًا.. يُحملقون في بعضهم البعض، فسرعان ما أنقذ الطبيب الموقف قائلًا:

"أكيد انتي مش فاكرة دلوقتي، وعلي أي حال باباكي في الطريق علشان ياخدك، حاولي تستريحي في البيت، وحمد لله على السلامة."

قالها مبتسمًا.

خرج الجميع من الغرفة عدا صديقتها التي كانت تقف منتظرة عند الباب، تنظر لأميرة بشفقة، ما الذي حدث لها؟ فهذه هي المرة الأولى التي تصرخ فيها هذا الصراخ الذي دام ثلاثة دقائق كاملة!

خرجت الفتاة ذات الشعر البني واستندت على سور الطابق الأول، عيناها كلون شعرها، بيضاء البشرة، ذات نمشٍ أحمر على وجنتيها، رفيعة الجسد، ذات ابتسامة جميلة إذا تبسمت.

كانت صديقتها تقف بجانبها، تريد إجاباتٍ لما حدث، هل رأت شيئًا مفزعًا؟ أم ماذا؟

لم تمر لحظاتٍ حتى قالت أميرة:

"أنا من ساعت ما اتولدت وأنا في المدرسة دي... دايمًا كنت بشوف الأوضة دي البنات بيدخلوها، عمري ما فكّرت اني أكون واحدة من البنات دي!"

لم تلتفت إلى صديقتها، فقد كانت تحملق إلى الساحة الكبيرة لمدرستها التي كانت قريبة لعينيها، مدرسة "مودرن الثانوية الخاصة للفتيات فقط"، كانت الساحة نظيفة وخالية من أية ورقة بيضاء تسبح على الأرض!

سرعان ما قالت صديقتها القلقة:

"بجد يا أميرة انتي مش فكرة أي حاجة من اللي حصل؟"

"و هو ايه اللي حصل يا علياء فهميني؟"

قالت في غضب!

أجابت في خوف:

"إحـــ...احنا كنا قاعدين في الفصل والميس كانت عمّالة تشرح..
وفجأة لقيتك صوّتي وصرختي زي المجنونة..حاولنا نهدّيكي ونسكّتك
بس انتي كنتي عمّالة تتنفضي يمين وشمال وتقريبًا كنتي هتكسري
الدسك بتاعك! وزي ما بدأت كل حاجة فجأة..انتهت فجأة
واترميتي علي الأرض مغمى عليكي!.. و الل...و الله العظيم يا أميرة
ده اللي حصل وإسألي أي حد لو مش مصدقاني!"

يبدو أن علياء لم تكن الخائفة الوحيدة، فقد عمّ الرعب داخل
قلب الصارخة، لا تعرف ماذا تُجيب، فقط نظرت إلى يديها اللتين
كان بالفعل عليهما آثار دمائها المُتجلطة!

إذًا صديقتها على حق! ولكن، لا تتذكر شيئًا.. نعم.. أقسم
لكم، إنها لا تتذكر شيئًا على الإطلاق!

أحمد

رن جرس الفسحة، تسارعٍ جميع الطلاب على الترول إلى الساحة الأسفلتية، متدافعين بقوة، ومرددين فقط هذه الكلمة:

"هيييييييييييييييه!"

و في أقل من دقيقة كانت الساحة ممتلئة بالطلاب. كان أحمد يسير مع صديقه أيمن الذي كان يُعَرّفه على بعض الزملاء في الفصل، حديث ممل دار بينهم، عن الفتيات الساقطات في المدرسة، والحافظات لأنفسهن أيضًا!

لم تسلم فتاة من هذا الحديث، فمن خلاله تعرف أحمد على جميع الفتيات داخل المدرسة، واستطاع معرفة الساقطات منهن والمحترمات!

سرعان مع اتجه أحمد ناحية أشجار السور، لم تكن ضخمة بل كانت أشجارًا وحولها بعض من الورود والأزهار، لا تُحجِب الرؤية عن الفتيات!

استند على شجرةٍ من الأشجار في المنتصف، وبدأ يمسح ساحة الفتيات، والتي كانت خالية تمامًا!

***

حقًا انها مدرسة رائعة! أشعر بالراحة النفسية هنا، فمدرستي القديمة كانت عاهة من بين المدارس! لم تكن آدمية، فقد كانت مثل إسطبل الخيول! نسبح في طينٍ بأحذيتنا الجديدة، وسرعان ما ندخل المعتقل (الفصل) ..كنا بالمئات نجلس والحر والعرق يملأ المكان! فلم تستطع نملة أن تجلس معنا، وسرعان ما يأتي المعلم ويجلس علي كرسيه أمام السبورة الخالية، ويشعل سيجارته، ويحملق فينا! الآن قد وصلت الرسالة! اليوم، أو غدًا سيعطي درسًا خصوصية لمن لديه مال، ومن لم يكن لديه سرعان ما يعامله معاملة قاسية داخل الفصل، ويجعله أضحوكة العام! وكنت أنا من بينهم، إلى أن تبدّل الحال!

***

قطع تفكيره صوت أيمن الذي كان يقف بجانبه من مدة، قائلًا:

"اللي مخليك سرحان كده قدام مدرسة البنات؟"

التفت إليه، ثم أجاب:

"إلا صحيح هما فين البنات؟ مش المفروض يكونوا نازلين معانا؟"

" ما ده اللي محيرني...مانزلوش ليه؟! "

"تفتكر ايه السبب؟"

نبتت الدادة سُهير من العدم؛ لتقول:

"بيقولوا ان فيه طالبة أُغمى عليها أثناء الحصة، فنَقَلوها أوضة الحكيمة، وتقريبًا كل البنات قلقانين عليها..أصلها من البنات الصفوة في المدرسة!"

أسرع أحمد في قوله:

"لا حول ولا قوة الا بالله! بس صفوة مين؟"

سرعان ما أجابه أيمن:

"الصفوة!.. يبقي لازم واحدة من شيلة ويندي!"

"أو ويندي نفسها!"

غمغمت الدادة...ثم ذهبت.

"يا نهار أسود! لتكون ويندي!"

شَعَر أحمد بدقات قلبه تدق خوفًا على صديقته!

زَهرة

"ومالك قلقان عليها أوي كده ليه؟"

نبتت زَهرة من وسط الأشجار، فقد كانت هنا طوال الوقت، جالسة بين الحشائش القصيرة، وتقرأ كتابًا غريبًا، يتحدث: "نصوص ثلما المقدسّة!"

لم تنظُر إلى أحمد مطلقًا، فقد كانت تُقلب في تلك الصفحات، مصطنعة القراءة، لتبرير سبب وجودها هنا! ولم يلحظ أحمد وجودها إلا بعدما قالت تلك الجملة، التفت إلى مصدر الصوت، وإذا بعينيه تريان أجمل ما رأت! و ما سترى خلال أعوامٍ قادمة!

فتاة تجلس بين الحشائش، ذلك السياج المكون من الأشجار الفاصل بين المدرستين، تُقلب في صفحات ذلك الكتاب الصغير، للحظةٍ ظن أحمد أنه يتوهم، أو يحلم، كيف وصل خلق الله إلى هذا الجمالٍ والإبداع! كانت كالزهرة وسط الأزهار، تستند إلى تلك الشجرة التي أرادت ابتلاعها من جمال تلك الفتاة!

سأل نفسه: هل هي معنا في المدرسة؟ لا، هل هي مصرية كباقي الفتيات هنا؟ لا، هل هي إنسانة؟!

عُقد لسانه بشدة، وحُشِرت الكلمات في حلقه، وأراد أن يُجيب ولكن جفّ حلقه، كيف يجرؤ على الحديث مع فتاة كهذه؟ حاول أن يلتفت إلى صديقه أيمن، الذي كان واقفًا في ذهولٍ هو الآخر! يريد أن يقول:إن هذه الفتاة بالغة الجمال! و عينيها الزرقاوين، تحكيان قصصًا مرت عليها آلاف السنين! محيط من ذكريات لا تهدأ أمواجه، ولا تَدفء مياهه الباردة! ولكن رغم كثرة تلك الذكريات فإن المراهقة لا تتذكر شيئًا على الإطلاق!...جفّ عقلها بعدما حدث لها.

سرعان ما رفعت تلك العينين الساحرتين إلى أحمد،وابتسمت تلك الابتسامة الجميلة! وقالت في هدوءٍ شديد:

"عارفة، عارفة."

ثم نظرت إلى أيمن الذي أراد أن ينسحب في هدوء، فهو غير مسموح له بالوقوف مع الفتيات، عدا هاجر!

أخيرًا خرج صوت أحمد بعدما تورّد خداه:

"عارفة! .... ايه؟"

كاد أن يفقد عقله، فأريجها ينساب إلى أنفه مُتسللًا، مُحدثًا زلزالًا يُدمر كل خلية حية من خلايا عقله!

قبل أن تُجيب هي، انسحب أيمن في هدوءٍ شديد، حتى أن أحمد لم يشعر به!

لم تُجب على سؤاله:

"انت أحمد، مش كده؟"

لا يعلم لماذا يخفُق قلبه بهذه السرعة؟ خاصة بعدما سألت ذلك السؤال الذي أخافه! كيف علمت باسمه؟

"هو..هو انتِ تعرفيني؟"

أخذت نفسًا عميقًا، ثم أجابت في هدوء:

"هو فيه حد فالمدرسة ميعرفش أحمد سمير؟"

زاد اندهاشه! واستعت عيناه! وقال:

"انتِ عرفاني منين؟"

لم تُجب عن سؤاله، تركته في حيرته التي ملأت عقله، وغمغت:
"ويندي، انتوا صحاب مش كده؟"

كانت عيناها تتخللان معالِم أحمد كأنها تقرأ أفكاره! في انتظار إجابته بفارغ الصبر!

"أنا وويندي كنا في فصل واحد قبل كده."

"اه، تمام."

"هي ايه اللي حصلها؟"

"مفيش.. داخت شوية.. والمدرسة بتطمن عليها."

ثم زفرت بقوة وأضافت:

"أكتر مرض بيصيب الإنسان هو الفضول! تأثيره أقوى من المرض الوحش يا أحمد!"

انفعلت في غرابة! حتى إن أحمد كاد أن يفزع من تلك الملاك!

"فضول إيه.. أنا مش فاهم حاجة؟ "

متعجبًا والحيرة تملأ عينيه.

لم تُجب، وانسحبت في هدوء نحو المبني.. صاعدة إلى ويندي، التي كانت ما زالت فاقدة الوعي مما رأته في الطابق السابع!

تركته والأسئلة تعتصر عقل ذلك المراهق البسيط، الذي لطالما حلمَ بأن تُحدثه فتاة جميلة، وتشكو له وتقص له ما يحدث معها، فأنعم الله عليه بــويندي الفتاة المخلصة للصداقة، وها هي زَهرة التي لا يعلم كيف حدّثها، وكيف خرج الكلام من حلقه الجاف! فكان كالكهف! لا توجد حياة بداخله، فقط صخور هنا وهناك، بدلًا من أحباله الصوتية.

سيلين

"أمي..أمي.. استيقظي بسرعة!"

همست المراهقة في أُذن والدها، تَهز جسدها بكلتا يديها، بسرعة شديدة. كانت والدة سيلين في الخامسة والثلاثين من عمرها، ترتدي ذلك الرداء الذي يشبه رداء المزارعين من شعب السِّلتك! مُستغرقة في ذلك النومِ العميق، فكانت تعمل بالأمس في مزرعتها الصغيرة، حيثَ الحشائش والأزهار، وأشجار السمَرِ العالية، وعِشَش الدواجن، والبقر الملّيري، الذي لم يسبق لأحد أن رأى مِثلَهُ من شعوب العالم!

تَقَلّبت الوالدة في مكانها، ليلتفت وجهها النائم إلى ابنتها، مغمغة:

"ماذا هناك يا سيلي؟"

ثم تثاءَبت.

أجابت سيلين:

"دقائق وســـيبدأ الاحتفال على شاطئ جزيرة فاروه."

لم تجد ردًّا من والدها، فأردفت:

"بالتأكيد لا تريدين أن يفوتك هذا الاحتفال!"

أجابتها وهي شبه نائمة:

"ومن يحب أن يري الدلافين وهي تتألم في البحر!"

ثم أضافت:

"أنا حقًا متعبة، إذهبي انتي، ولكن لا تتأخرى!"

زفرت سيلين من فيها الصغير، ثم قالت:

"حسنًا يا أمي."

ثم انطلقت مُسرعة خارج ذلك البيت الصغير، الذي يشبه الكوخ الخشبي، تجول في المزرعة الصغيرة، حيث مرّت على بقرتها المفضلة " فالي! "

وربتت على ظهرها بحنان، وهمست لها:

"هيي! كيف حالك؟ نعم أعلم أنك افتقدتني أيضًا، ولكن كما تعلمين، فأمي تعمل هنا طوال النهار ولا تسمح لي بالجلوس معك!"

هبّت نسمة من الهواء المنعش، الساحر على تلك الجزيرة! حتى حرك أوراق تلك الأشجار العالية والأزهار بين الحشائش القصيرة، والتي استنشقته المراهقة بعمق، حتى زفرته ببطء، وأكملت:

"هذا هو ما يجلعني أحب هذه الجزيرة، هواؤها المنعش، وطبيعتها الخلابة، وخيولها الأصيلة! نعم، أعلم أننا في عزلة عن هذا العالم

الكبير، ولكن، سيظل إخلاصُنا إلى هذه الأرض التي ولِدنا عليها، وعَملنا بأيدينا حتى صارت ما هي عليه الآن!"

ثم زفرت في هدوء.

كانت سيلين مراهقة متوسطة الطول، بشرتها بيضاء كالثلج! شعرها بُني طويل، ليس مستويًا، فلم يصل لها أدوات تسريح الشعر أو مستحضرات التجميل كما لدينا! فقد كان يتطاير في اتجاه الرياح الخفيفة، المحملة بالقصص والذكريات التي لا تُنسى عن هذه الجزيرة!

عيناها زرقاوان تتلألآن في محيطٍ من ذكرياتها الجميلة على هذه الجزيرة،والتي عاشت بعضها،وتمنت لو أن تعيش بقيتها! كانت ترتدي ذلك الفستان الأصفر، الذي لا ترتدي غيره، حتى اشتهرت به في قريتها، بالفتاة ذات الفستان الأصفر!

بعدما أنهت حديثها مع البقرة، توجهت إلى باب المزرعة الخشبي، دفعته وخرجت في هدوء، متجهة إلى ذلك الاحتفال التي تقيمه جزر فارو المجاورة لتلك الجزيرة..اعتلت التل، لترى بعضًا من شعبها يقف مشاهدًا للاحتفال، توغلت بينهم كإبرةٍ في كومة قش! حتى أصبحت في المقدمة، شاكرة ربها على ذلك المكان الاستراتيجي للرؤية الجيدة. نظرت أسفلها لتجد الأمواج تتدافع بقوة، كأنها تُدَافع عن تلك الدلافين المسكينة، الذي ستُذبح الآن! نظرت أمامها، دقات قلبها بدأت تعلو؛ لتجد شعبًا كاملًا توغل داخل ذلك الشاطئ لتلك الجُزر، يتسابقون في اصطياد أكبر عدد من الدلافين من نوع "كاليديرون".. أكبر أنواع الدلافين..ويتم ذبحها بطريقة وحشية، وقاسية! فالدلافين

تتألم من السكاكين المغروسة داخل أعناقها وأحشائها! وتصدر أصواتًا تشبه البكاء كالأطفال الصغار، تُعاني تخلف البشر!

لم تتحمل رؤية جميع هذه الدلافين وهي تُذبح بهذه الطريقة الوحشية، ولكن.. ماذا عساها أن تفعل؟ فهي ليست مُحاربة أو فتاة قوية تستطيع حمل سيف، أو ركوب خيل، فقد كانت مسالمة، رقيقة المشاعر، يتورد وجهها عند الخجل! كثيرة البكاء، ضعيفة الشخصية.. كل ما تستطيع فعله الآن هو أن تضع يدها على عينيها، وتحاول أن تُجاهد نفسها، وفضولها المرضي، ألا ترى ما ترى.. أن تذهب من هنا باكية وتضع رأسها بين أحضانِ والدها وتبكي بشدة!

ولكنه الفضول، والمتعة في النظر إلى ما يجرحنا، كحال من يهاب من خياله، وهو في علاقة وطيدة مع قصص وأفلام الرعب!

ويندي

انتهى اليوم الدراسي، وكانت الفتاة السمراء جالسة على دكتها، غير منتبهة أن الجرس قد ضُرب وأنه حان وقت الرحيل، فقد عادت إلى وعيها بعدما أُلقي على وجهها ماء مثلج، جعلها تنتفض في مكانها و تصرخ:

ماذا حدث!؟

ولكن سرعان ما نَسيت كل شيء، أو تصنَّعت النسيان أمام زملائها والمعلمين، فقط فكِّروا معي.. ماذا ستقول؟ أنها رأت أقزامًا تتجول في الطابق السابع؟!

وكان قرارها الذي اتخذته في أقل من الثانية، لن تخبر أحدًا بما رأت بالأعلى، فالجميع يعلم بماذا يمكن أن تُتهم إذا قالت مثل هذا الهراء!

مرّ اليوم الدراسي عليها كالسنة! جمعت أغراضها ووضعتها داخل حقيبتها، ثم وقفت على قدميها، شعرت بالدوران لحظة، ثم عادت إلى طبيعتها مرة أخرى.

خرجت من الفصل، وهي تنظر إلى أعينٍ تُحملق في تفاصيلها! فالجميع مازال فضوله يُلح عليه، ماذا حدث مع تلك الفتاة المسيحية!

لم تبالِ، واستمرت في طريقها إلى السلالم، أرادت لوهلة أن تنظر إلى ذلك الطابق الذي بدأت منه كل شيء، ولكن سرعان ما وجدت قدميها خَطَتا بسرعة مبتعدة عن المكان!

نزلت عبر السلالم في هدوء، ما زالت تستوعب ما حدث لها، الأقزام، الرداء الأحمر، الدائرة التي كانت بداخلها ذلك القزم الذي بُترَ إلى شطرين! وأيضًا نظرات الطالبات، والمعلمين ..أصبحت في ذلك العالم الوهمي الذي يُخلق نتيجة لأفعالنا، وما زالت غير مصدقة أنها دخلته بسبب فضولها!

أسرعت إلى الساحة لتجد صديقاتها المقربات يتجهن نحوها.

"ويندي، عاملة ايه دلوقتي؟"

احتضنتها يـــارا بقوة.

"فيه ايه يا بنتي مالك!"

هتفت آلاء رابتة على كتفيها.

لم تُعطِ ويندي أدنى اهتمام، فقط كانت تنظر لهم في تألم، تريد أن تُجيب ولَكن شيئًا ما يمنع تلك الكلمات التي ستطمئنهم ولكن اكتفت فقط بقول:

"أنا هَروح... وهبقى أكلمكوا لما أبقى كويسة!"

ثم انسحبت في هدوء وخرجت من بوابة المدرسة.

مسكينةٌ ويندي، لا تعلم أنها إذا فعلت ما قالت.. فلن تتحدث إليهن بقية حياتها!

توجهت إلى شارع "السبت" أمام المدرسة، لتستطيع الوصول إلى الشارع الرئيسي، ولكن استوقفها في وسط الطريق، ذلك الشاب الذي يدعى إسلام.. متوسط الطول، يرتدي تلك النظارة التي ولد بها! نظر إليها بتلك النظرة العاطفية، التي لطالما أدركتها ويندي ولكنها تعاند.

"ازيك يا ويندي.. عـــ...عاملة ايه؟"

شعر بوخذة في صدره مع خفقان قلبه المسموع نبضه!

نظرت له ويندي، تلك النظرة التي لم يفهمها، عيناها تريدان أن تقول إنها تريده.. رغم اختلاف الأديان، ولكن إنه الحب، فوق كل الأديان السماوية! نظرة ضعف، وألم.. نعم، فهي تتألم في داخلها، فتراه ذا أخلاقٍ حميدة، شريف المقال، صادقًا في مشاعره، يُحبها حتى الممات! .. ولكن، ما حدث بينهما سابقًا، لا يمكن أن يُغتفر!

أجابته في ضيقٍ شديد! حتى هي لا تعلم لماذا تفعل ذلك معه؟ "تمام."

"طب انتي بقيتي كويسة الحمد لله ولا لسه تعبانه؟"

كانت البراءة تملأ عينيه الواسعتين! وكلامه صادق، فهو بالفعل يريد أن يطمئن عليها ليطمئن قلبه!

رفعت حاجبها في استنكار، كانت على وشك أن تقول له: (و أنت مال أهلك!) ولكنها حفظت لسانها، قائلة:

"أهو..أحسن."

ثم زفرت، وأضافت بعدها في فظاظة:

"أنا هستأذنك بس ..ممكن أروح؟"

شعر إسلام بالحرج الشديد، وما فعله أنه تنحى جانبًا في هدوء، وغمغم:

"اتفضلي."

ثم عبرت من أمامه بسرعة، وهو ما زال ينظر إليها في ألم، وحنين... تكاد الدموع أن تسقط من تلك العينين اللتين تحملان المآسي، ومحيطًا من الذكريات!

***

فتحت باب المترل ، دخلت إلى ذلك المترل الكئيب، الرتيب، الذي لا يوجد طعمًا له بدون والدهَا!

أسقطت حقيبتها على الأرض وتجولت في أرجاء المترل باحثة عن أُختها التي لم تكن بالمترل، نعم، تذكرت أنها اليوم ستتأخر بسبب محاضراتها و(كورس الإنجلش) في المعهد البريطاني، تذكرت أيضًا أن السيد وديع في عمله، مع تلك المرأة المغربية التي طالما كرهت وجودها في المترل! ولكن ماذا تفعل سوى الصراخ في داخلها، حيث يوجد عالمها الذي تسبح فيه ذكرياتها ومشاعرها، محيطًا من الذكريات

يصُب في نهرٍ من المشاعر الذي يتقاطع مع بحر من الألم والحزن! والحنين إلى حياتها المراهقة التي كَرِهتها!

بدّلت ملابسها واستلقت على سريرها، أمسكت بسمّاعاتها ووضعتها داخل هاتفها، وعاشت في ذلك العالم الذي يلجأ إليه الجميع هروبًا من الواقع، عالم الأغاني..والانفراد بالمشاعر، وحدك! داخل غرفتك، مُغلقًا عليك الباب.. لا أحد يشعر بك، أو يفهمك!

أخذت تتمتم بكلمات أغنية تحبها .

بتر غِنائها رنة هاتفها المحمول، نظرت في هدوء على الشاشة لتجد صديق العمر يتصل بها!

أحمد

ظهر رقمه على شاشة هاتف ويندي، والتي كانت تستلقي على سريرها، سابحة في أفكارها وعالمها الذي لا يعلمه أحد سواها! عندما نظرت إلى ذلك الرقم، لا تعلم لماذا شعرت بالسعادة والاطمئنان، بل والحنان! لذلك ضغطت على زر استقبال المكالمة بسرعة كأنها منتظرة تلك المكالمة منذ سنوات!

"أحمد!"

هتفت في لهفة شديدة.

"ويندي! ازيك!"

أجابت بسرعة:

"أنا تمام كويسة، انتي اللي ازيك و ... وعامل إيه؟ "

" اهو ماشي الحال"

لا يدري لماذا يشعر بهذا الكم من السعادة! فقد اشتاق لسماع صوت تلك الفتاة السمراء منذ سنوات!

أضاف في ابتسامة:

"يعني ينفع كده لا اتصال ولا حتى سؤال! ده احنا إخوات يعني!"

ضحكت هي وقالت:

"ماهو علشان احنا إخوات يبقى لازم كنت انت اللي تتصل مش أنا..أنا البنت برده!"

ضحك هو، وقال:

"يااااه لسه عنيدة زي مانت؟"

"وانت لسه رخم زي مانت ماتغيرتش!"

كانت المفاجأة عندما أخبرها أنه انتقل إلى مدرستها، حيث وقع عليها الخبر كسهم الحب الذي يخترق القلب!

تبسمت وقالت:

"يعني هنشوفك كل يوم يعني على كده بقى."

قال بسرعة:

"فيه مانع؟"

"أكيد لأ طبعًا.. ده أنا هبقى سعيدة اني هشوف أخويا كل يوم."

تذكر سبب المكالمة، فقال:

"حمد الله على سلامتك، بس هو ايه اللي حصل؟"

لم تستطع أن تُجيبه بالحقيقة، فهي تعلم أنها ستصبح مجنونة في نظره، فقط اتخذت الكذب إجابةً لها:

"أصلي وأنا نازلة على السلم وقعت، فإتخبطت في دماغي فأغمي عليا!"

ضحك، وفهم أنها لا تريد أن تبوح له بما حدث، فقد اكتفي بقوله:

"على العموم حمد الله على سلامتك.. أنا بس اتصلت علشان أطمن عليكي."

أسرعت في الرد:

"متشكرة أوي يا أبو حميد."

ثم أغلقا الخط.

كان يقف داخل غرفته الصغيرة عندما أغلق الهاتف، يفكر.. تلك الفتاة تحمل في طياها أسرارًا لا تبوح بها إلا له! فلماذا كذبت عليه؟ سرعان ما غلبه النعاس، تمدد في سريره، واستغرق في نوم عميق.

***

رأيت في منامي أنني أركض بأقصى ما عندي من سرعة، داخل نفقٍ واسع، لا نهاية له سوى ذلك الوميض الذي كلما اقتربت منه ابتعد هو، وسرعان ما نبتت فراشة تُحلق أمامي! تتخلل وجهي، وكأنها تتحدث لي، ولكنهم لم يُعلّموننا لغة الفراشات في مدارِسنا!

لم تمر لحظات حتى أسرعت في الذهاب إلى ذلك الوميض أمامي.. أدركت أنها إشارة تعني: اتبعني! ركضت خلفها، مُحاولًا تجنب تلك الجذور التي حاولت تقييد قدمي! ولكنني نجحت في تجنبها أخيرًا، عندما أهلكني التعب فتوقفت ألتقط أنفاسي، كان من الصعب أن أتنفس في ذلك النفق الضيق، أشعر كأنني مقيد من قبل أياد خفية، تخنُقني حتى أهلَك! الفراشة اختفت!فسرت ببطء، متأملًا تلك الرسومات والنقوش على الجدران، كانت عبارة عن رموزٍ وأشكال غريبة لم أفهمها، ولكن ما لفت نظري حقًا.. هي تلك الرسمة! رسمةً لإمرأة عارية، لا تختلف عن جمال زَهرة سوى أن شعرها كان قصيرًا، وترتدي سلسلة تلتف نحو عُنقها، وتتربع بين ثدييها بقيتها، والتي كانت عبارة عن فراشة صغيرة، دقّقت النظر، فوجدت رأسها يتفرع منه ثلاثة قُرون! وسرعان ما أسقطت عيني إلى تلك الرسمة، والتي كانت عبارة عن: فتاة في مُقتبل العُمر، الألم والدماء تكسوان وجهها الفاتن، تقف بفستانها المُمزّق، حاملة سيفًا فولاذيًّا، حدّه يشتعل بنار زرقاء اللون لا تؤذيها! تواجه شيئًا لم يتبين لي ملامحه، سوي شيء يقف على قدمين، ومُتفرع منه جناحان كبيران تجاوزا مسافة طابقين!

انتزعني صوت أتى من جانبي بغتة! كانت هي! زَهرة، تقف بجانبي تُحدق فيّ! قائلة:

"دي آسيرلا!"

خفق قلبي بشدة،وحاولت الرد، ولكن شيئًا ما منع إخراج صوتي! و لكنها أردفت:

"خليك فاكر الصورة دي كويس أوي! لأنك هتحتاجها!"

***

"أحمد.. أحمد.. يا أحمد!"

هتف محمود، شقيق أحمد الصغير، ذي الستة سنوات، كان يهزه بكلتا يديه بعنف. حتى انتفض أحمد من مكانه!

صاح في غضب:

"فيه ايه...فيه ايه!"

ابتعد محمود عنه عدة خطوات، وقال:

"ماما بتقولك اصحى بقى علشان تذاكر، كفاية نوم."

بدأ يُدرك الواقع، مسح على رأسه، ثم قال:

"هي الساعة كام دلوقتي؟"

"8 بليل"

"هو أنا نمت كل ده "

"اها"

ابتسم أحمد وقال:

"طب انت ليه صحتني بالطريقة دي!"

ضحك في براءة و قال:

"اهو غلاسة كده!"

وأخرج لسانه، وهرب خارج الغرفة!

زَهرة

كانت تُفكر بعمق....ماذا حدث في ذلك اليوم الذي ولدت فيه؟ وإلى أين ذهبت والدها؟ ولماذا لم تأخذها معها حيثما ذهبت؟ من هي؟ ماذا يكون شكلُها؟ ملامحها! هل لها شقيقات أو أشقاء؟

لا تدري، فقط تتذكر هذه اللحظة التي وعت فيها على الدنيا، وجدت نفسها داخل ذلك الملجأ الصغير، تحتضنها تلك المرأة، التي اهتمت بها وفضلتها عن باقي زميلاتها! في يومٍ ما سمعتها تقول: إنها طفلة ذات أهمية كبري! وكانت الأوامر من مدير الملجأ أن يتم الاعتناء بها جيدًا! لا تدري لماذا؟ ولكنها تتذكر تلك اللحظة التي أتي فيها ذلك الرجل الأربعيني، وأخذها معه إلى بيته، واعتنى بها حتى بلغت مرحلة المراهقة، ودخلت تلك المدرسة.

في بادئ الأمر، جمالها أصبح حديث المدرسة، تلك الفتاة الملائكية، ذات العينين الزرقاوين، بالتأكيد ليست من بَلَدِنا!

محيط من الذكريات يُصب داخل عقلها، لا تدري من أين تبدأ القصة، ومتى تنتهي، ولكنها تُحاول، وتُحاول.. مرارًا وتكرارًا، ولكن.. الفشل هو النتيجة!

سيلين

العاصمة: ميريز، شمال جزيرة مولاريا.

اجتمع الشعب المولاري بكافة طبقاته، في حديقة ذلك القصر، قصر الملك (ج. آر. رولاند) وزوجته الملكة (مآيسي آر. كلينجون) كان القصر أشبه بالكنيسة من الخارج مع اختلاف الرموز، مليء بتلك الأعلام التي كانت تطاير بفعل الرياح، ينتشر حول ذلك القصر الكثير من الحدائق والمُروج، ذي النباتات النادرة، وأشجار السمَرِ الطويلة، وروا وأزهار لم يُر مثلها من قبل! وكان الناس مجتمعين أمام تلك البوابة الكبيرة، والتي ما زالت مغلقة. وهنا، حيث تقف سيلين مع والدها، بين تلك الجموع، من الشعب اللطيف، المسالم، حيث كانت وجوههم تحمل البسمة والطيبة، الرقة وخجل الفتيات، والقوة والرحمة للرجال. جميعهم في انتظار تلك اللحظة التي يُفتح فيها ذلك الباب، و يخرج الملك ويُعلن عن زواجه بتلك المرأة، العشرينية

اليافعة، حيث كانت عيناها كعيني سيلين، شعرها أسود رقيقًا هشًا، بشرتها بيضاء، وجسدها نحيلًا، ومثيرًا للغرائز!

كانت سيلين تقف غير ثابتة، حيث قالت:

"متي سيُفتح ذلك الباب يا أمي؟ لقد مللت هذه الحفلة! أنتِ تعلمين أنني لا أحب تلك المراسم."

التفت إليها أمها مبتسمة:

"إنه حدث مهم يا صغيرتي، فالملك لم يتزوج منذ وفاة الملكة إليث بونزابيل.. وأنتِ تعلمين كم سيكون الملك سعيدًا بهذا الزواج! خاصة أنه سيدخلنا تلك القاعة الكبيرة لنتناول الطعام والشراب! كل ما تشتهيه أنفسنا!"

لم تلتفت لها سيلين و لم تبالِ.. فقط أرادت أن تذهب من هنا لأنها ملّت، كان الجميع في سعادة لا توصف! فقد كرهوا جميعًا وحدة الملك الطيب، وأحزانه التي لم تكن تنتهي لولا ظهور تلك المرأة في حياته!

نادى منادٍ من بين الناس:

"ستُفتح البوابة الآن."

و كان الرجل على حق، فُتحت البوابة ببطء، ليخرج حراس الملك بخيولهم الأصيلة، وراءهم خرج ذلك الرجل ذو الشعر الأسود القصير، عيناه حادتان كالسيف، زامًا على شفتيه، رافعًا حاجبيه في استنكار لما يحدث!

نائب الرئيس.. (إبرام دراكون).. كان يقود جواده الأسود بثقة، رافعًا رأسه في تكبرٍ لاحظه الناس حتى ذمّوه من بين أنفسهم: "ها قد أتى المغرور."

وقف بجواده أمام البوابة والحراس على جانبيه، يرتدون ذلك الرداء من جيوش العصور الوسطى في أوربا! وتلك الخوذة الحديدية التي تحميهم من أشعة الشمس.

قال المغرور باختناق:

"تفضلوا بالدخول."

وانسحب بجواده من أمام البوابة تاركًا الناس تمر من على هذه الأرض اللامعة أمام البوابة! كان ينظر اليهم باحتقار، بكرهٍ شديد، لا مُبرر له.

تلك هي نظرة سيلين لذلك المغرور، بغضب..كأنها تشعر أنه ينوي فعل شيء حقير في ذلك الاحتفال، وسرعان ما عبر الناس البوابة ودخلوا ذلك القصر.

كانت القاعة واسعة، مليئة بالحراس، يقفون أمام تلك الجدران الذهبية، المليئة بتلك الرموز غير المفهومة، وتلك الرسمة التي بالعَلَم، تنانين مقيدة داخل ذلك المثلث الكبير، ونيران تخرج من أفواههم الكبيرة، كأنها تريد أن تُحرِق كل من كان حاضرًا في ذلك الاحتفال، وكانت المراهقة تسير ببطء ممسكة بيد والدها، حيث تتأمل من حولها، بحذر!

أيمن

ذلك النادي خلف المدرسة، حيث يُقام فيه تلك البطولة الممتعة بين الطلبة والطالبات، حيث تهاتف الطلاب على الاشتراك في تلك الألعاب، مثل كرة القدم، السلة، السباحة، الجودو،والكاراتيه!

والفريق الفائز بلعبة من تلك الألعاب يتم تكريمه وإعطاؤه جائزة وهي: الشهرة في المدرسة والانضمام لنادي الصفوة! حيث أسسته ويندي وضمت فيه صديقاتها المقربات من الفتيات. وتم تأسيسه في مدرسة البنين على يد ذلك المراهق بسَّام، والذي يضم فيه سبعةً من أصدقائه المقربين فقط! حيث كان جالسًا وحوله أصدقاؤه في تلك المدرجات في تلك القاعة الكبيرة، قاعة الكاراتيه أيضًا كان أحمد يجلس بجانب تلك المرهقة السمراء! يتضاحكون، ويتذكرون تلك الذكريات التي قضوها معًا! ذكريات لم ولن تُنسى!

امتلأت المدرجات بالطلبة أخيرًا.. فالكثير من المراهقين يعشقون فن الكاراتيه، ذلك الفن الذي لا يتعلمه سوى الحكيم، المُتزن!

استعد أيمن الذي كان مُدربًا على أعلى مستوًى! صاحب اللياقة البدنية العالية، والحركات المهارية التي تطيح بالخصم، فقد استحوذ على الميدالية الذهبية في العام الماضي.. وها هو الآن يُعيد الاشتراك كي يعيد تلك الأمجاد، والذكريات! التي حُفرت في مخيلته وتركت علامة في حياته. كم هو رائع أن تجد الناس تُقبل عليك! ويُعانقونك، ويهتفون باسمك، فأنت البطل! تلك الفتيات الجميلات يلتفتن إليك، و يرددن اسمك بينهن..وتأتي تلك الجميلة، وتبتسم لك في خجل، وتقول:

"ممكن بعد اذنك نتعرف؟ أصل أنا بصراحة معجبة بيك من زمان و يعني...... و تبتسم!"

منذ متى كانت تُعجب به! منذ أن أصبح بطلًا! وماذا إذا خسر في آخر مواجهة! هل كانت ستكون مُعجبة به منذ زمن؟!

أم كانت ستركض نحو البطل الجديد، وتهتف باسمه وتبتسم له في خجل وتردد تلك الكلمات التي يُصدقها أغلب الناس، وينخدعون بها. ويظنون أنها الحقيقة!

ارتدى أيمن ذلك الرداء الأبيض، وحزامه الأسود.. نظر إلى نفسه في تلك المرآة، محاولًا أن يُبعد من قلبه القلق والخوف، كان يأخذ نفسًا عميقًا، ثم يزفره ببطء، يكرر ما يفعله مرارًا و تكرارًا!

أصبح الآن واثقًا بنفسه، بعدما سمع اسمه يُنادى في الخارج: أيمن! سمع هتاف الجماهير، فالكل يعرفه، ويعرف مدى قوته ومهارته في تلك اللعبة، حيث شاهدوه يكسر عظام خصمه العام السابق!

خرج حتى أصبح في منتصف الحلبة، رافعًا ذراعيه يحيي جماهيره (الوهمية)!

هنا هتف كريم السمين من بين المدرجات:

"أيمن .. أيمن..أيماااااااان!.. يلا يا أيمااااان!"

وصاح ماجد:

"ياض يا أيمااااان.. علم عليهم ياااااااض!"

التفت إليهم أيمن مبتسمًا.. ولكن متمنيًا أن يصمتوا! كفى إحراجًا اليوم!

هنا نُودي على الخصم، وإذا به يقف مذهولًا لما يراه أمامه! إنها.. زهرة! تلك الفتاة الملائكية! كيف؟!

أقبَلت في هدوءٍ شديد، وكانت ترتدي حزامها الأسود، وتقِف في ثباتٍ مفزع! للحظَة، ظن أيمن..أو لم يظن، فقد تأكدَ، أنها وحش مفترس وسيفترسه الآن! وأنه سيفتقد أمه وأباه كثيرًا!

إنها المباراة الأولى لهما، فاتحة تحمل الأمل والبسمة حقًا!

اصطفا أمام بعضهما بعضًا، وانسحب الحكم في هدوء، وصمت الجميع، وسَمِع أيمن ذلك الصوت الذي قال: "فلتبدأ المعركة!"

ويا ليتها ما بدأت! فقد تلقى أيمن تلك الضربة في صدره من قدم الملاك اليُمنى! حيث وقع على الأرض! فلم يتحمل تلك الضربة القوية! نعم، كانت قوية جدًا عليه، حيث تعجب هو والجمهور، ما الذي حدث؟

بطل المدرسة في الكاراتيه، سقط من أول ضربة! لم يستسلم لتلك الفكرة، ووقف مجددًا، وهجم على زهرة! والآن، ها هي الضربة الثانية يتلقاها! بقوة شديدة! لم يسبق له أن تنافس مع خصمٍ بهذه القوة!

لم يستطع أن يفعل شيئًا، فقد استخدم جميع تلك الحركات التي تعلمها طيلة حياته! وها هو يتلقى الضربة الثالثة، والرابعة، والخامسة! والسادسة! والسابعة! حتى سقط على الأرض وقرر أخيرًا الاستسلام!

صاح الجمهور بشدة، ماذا حدث للبطل؟ ها هو ساقط على الأرض، يتنفس بصعوبة، فقد شعر أن تلك الفتاة اخترقت قصبته الهوائية! فضرباتها كانت باحترافية شديدة، تدور حول نفسها بمهارة، ثم تهجم كالأسد!

انسحبت الفتاة من الحلبة بعدما أُعلن عن فوزها في تلك المرحلة، اتجهت نحو غرفة الملابس بسرعة، لم تكن بذلك الإرهاق، كانت هادئة جدًّا، تسير في بطء، حتى دخلت الغرفة وأغلقت على نفسها الباب!

اجتمع الجمهور حول أيمن الذي كان شبه مغشي عليه، الكل في تساؤل:

"هو ايه اللي حصل؟"

"هو كويس؟"

"أيمااااان! صاحبي انت كويس؟"

صاح ماجد.

تدخل أحمد وحاول أن يخرجه من بين أولئك الطلبة المندهشين، حتى ساعدته ويندي في ذلك، وبالفعل، لحظات وكانوا جميعًا خارج تلك القاعة المشؤومة، التي هُزم فيها في ذلك البطَل لأول مرة، وبهذه البشاعة! من فتاة!

"عالأبو كده والمصحف!"

لفظها وقد جلسوا على تلك الكراسي البيضاء داخل حديقة صغيرة في النادي، كانت ويندي تنظر إلى ذلك المهزوم بتعجب! فهو في غاية التعب والإرهاق، والألم البدني والنفسي!

لم يستطع أن يقول شيئًا آخر سوى تلك النهنهة، التي كانت البوابة، لسلسلة من البكاء المتواصل كالأطفال! اقترب أحمد منه في هدوء، وقال:

"ياعم خلاص ماكنتش لعبة دي اللي هتخليك تعيط زي العيال!"

أضافت ويندي:

"أحمد معاه حق، كلنا بيجيلنا وقت ولازم نخسر فيه، الواحد عمره ما بيقضي طول حياته بيكسب!"

هنا صرخ أيمن:

"أنتوا ازاي مش فاهمين ان الموضوع مش موضوع اني اتزفّت اتغلبت! البت دي ازاي عملت فيا كده؟ خصوصًا انه مايبانش علَيها القوة دي؟!"

لم يجدوا الرد المناسب لحالته، فمعه حق! لم تتقن أي ضربة! كانت تدافع عن نفسها من ضرباته بمهارة شديدة! فالسؤال المطروح هنا:

- من علّمَ تلك الفتاة كل هذه الحركات بهذه الاحترافية؟

بعدما استراح من الألم، ذهب إلى غرفة الملابس ليبدل ملابسه، داعيًا ربه بعدم ملاقاتها في أي مكانٍ في النادي!

"ماتيجي نقوم نجيب حاجة نشربها الواحد ميت من العطش!" اقترحت ويندي ذلك ووافقها الرأي،اتجهوا نحو ذلك الكشك الصغير بجانب الملعب، الذي ما زالت تحمل أرضيته أقدام أولئك الراكضين بالكرة، والهتاف لا يتوقف!

ابتاعت ويندي علبة عصيرِ برتقال، فهي تعشقه عشق الجنون! وكان أحمد خلفها منتظرًا، التفت له وقالت:

"ايه مش هتشتري حاجة؟"

ابتسم وقال:

"لا مش عاوز أشرب حاجة دلوقتي."

أومأت برأسها، ثم عادت إلى البائع، فسألته:

"بقت بكام العلبة دي؟"

ابتسم البائع ابتسامة لَزِجة، وقال:

"خلي علي حضرتك خالص يا عسل."

ابتسمت ويندي وقالت:

"ربنا يخليك، بكام بقي؟"

"خلي علينا خالص يا ست هانم."

"لا لا ازاي اتفضل ."

مادَّة يدها بخمسة جنيهات.

كررَ البائع:

"خلي علينا والله يا ست هانم!"

بدأت ويندي تغضب من ذلك الغبي! منذ متى والبائعون لا يقبلون المال!

كررت:

"اتفضل بس."

ولكن لا حياة لمن تنادي.

"خلي علينا والله!"

هنا سحبت يدها الممدودة، وقالت:

"طب تمام.. خليها عليك المرادي."وابتسمت، التفتت وخطت عدة خطوات بعيدًا عن ذلك الكشك، والبائع يقف في ذهول!

نادى البائع بأعلى صوته:

"هو ايه اللي تمام خليها عليّا المرادي!"

ركض مسرعًا نحوها وقال:

"الحساب تلاتة جنيه ونص يا ست هانم!"

هنا تدخل أحمد غاضبًا:

"هي مش كانت واقفالك وفضلت تتحايل على أهلك علشان تديك الفلوس!"

احمر وجه البائع وقال:

"لأ بقولك ايه! هتغلط هدفنك حي هنا!"

أثارت هذه الجملة مشاعره، فأمسك بقميص البائع بكلتا يديه قائلًا:

"تدفن مين هنا انت مجنون!"

وبدأ الشجار في الحديث، فتدخلت ويندي مُبعدة أحمد عنه ولكنه كان مُصرًّا على لكم أنفه العريض لولا تدخل إسلام الذي فرّق بينهما! في نهاية الأمر دفعت له ويندي المال، ولم تأخذ ما تبقى من الخمسة جنيهات."

"على الجزمة! مش عاوزة منك باقي."

وانصرف الثلاثة.

إسلام

بين الواقع والخيال!

كان يسير مع الصديقين في هدوء، هذا هو الواقع، ولكن خياله مع تلك الفتاة السمراء، التي يراها يوميًّا في منامه، يستنشق هواءها، و يعشق كل شيءٍ فيها.

ذمّت ويندي على شفتيها وقالت:

"راجل غبي صحيح!"

وبجانبها أحمد الذي ما زال يتذمر بتلك الكلمات البذيئة! ولكن التفت له أحمد وقال:

"سيبك انت من كل اللي حصل ده، عامل إيه؟"

أجابه المراهق:

"اهو تمام الحمد لله."

ناظرًا إلى ويندي:

"وإنتي عاملة إيه يا ويندي؟"

أضاف.

لم تلتفت إليه، قالت وهي ناظرة أمامها بعينٍ شاردة!:

"اهي ماشية؟."

قال أحمد:

"إيه أخبار حياتك؟"

شعرَ بالخجل بسبب ويندي، ومُعاملتها له كأنه نكرة! أجاب:

"أهو ماشي الحال."

لم يكد أن يتفوه بكلمة حتى وجد شقيقته التوأم بحجابها وبشرتها البيضاء وعيناها السوداوتان اللامعتان جالسة أمام تلك النافورة الصغيرة في هدوءٍ شديد

"طيب عن اذنكم بقي هاخد أختي و أروح ...عايزين حاجة؟"

أجابه أحمد:

"شكرًا يا باشا."

لم تجب ويندي.

فذهب مسرعًا إلى تلك الفتاة التي وقفت عندما رأته يتجه نحوها، و ذهبا في صمت! التفت أحمد إلى ويندي مبتسمًا، وقال:

"أخدتي بالك من نظراته ليكي؟"

لم تلتفت له ويندي، ولكن أجابت:

"اها خدت بالي... أنا زهقت."

"من ايه؟ أيمن حكالي على إن الواد بيحبك.. وإنتي باين عليكي إنك بتحبيه...يبقي إيه المشكلة بقى؟"

"أكيد نسي يحكيلك اللي حصل بيننا؟"

"حصل إيه؟"

توقفت بغتة، بدأ القلق يغمر وجهها، ثم أجابت بتردد:

"لا ولا حاجة!"

جلست أمام تلك النافورة، وأردفت: "مانا قلتلك واحنا قاعدين في المدرج، أنا مش هحب ولا عاوزة أتحب، يا أحمد أنا عايشة حياتي براحتي ودماغي مش عاوزاها تكون مشغولة بمواضيع الحب والارتباط اللي بتعقد الواحد!"

رد عليها في هدوء:

"بس على كلامك إنه من زمان و هو بيحبك ... يعني من الآخر يا ويندي، ماحدش في الزمن ده بتفضل مشاعره ثابتة على شخص واحد أكتر من 3 سنين!!.. يعني ده واد مايتعوضش!"

صاحت ويندي:

"لا وأنت فاكر إني مهتمة!! ها....ها...ها!" وأضافت:

"تولع مشاعره أنا مالي! أنا خلاص بقي ليّا مبدأي اللي ماشية بيه في الحياة ومش هغيره مهما حصل!"

اتجه إسلام وشقيقته إلى تلك السيارة التي كانت تقف خارج النادي، ركبا معًا وفي طريقهما الى المترل كان يجلس حزينًا، مهمومًا، مليئًا بتلك المشاعر الصادقة التي تنبُع من قلبه، ما زال يُفكر.. ويُفكر في ذلك الوجه الجميل الباسم مع الناس، والممتعض منه!

تلك العينان الذهبيتان اللتان تحملان الأسرار والذكريات، تلك الشفتان الصغيرتان اللتان دائمًا ما أرادت نفسه تقبيلهما! لتُعلن تلك القبلة عن زواجهما في المستقبل! وأنها له وحده.

حدّث نفسه قائلًا:

"أردت أن أعانقك ذلك العناق الدافئ، وأنهارُ بعدها في البكاء! ثم أطبع تلك القبلة علي جبهتك، قائلا:

أخيرًا تحقق حلمي وأصبحت معك، يا زوجتي العزيزة! ورغم الذي حدث بيننا، فإنني ما زلت أحبك يا ويندي."

"ما زلت أتساءل يا مارجي، هل ستصدق فعلًا أنني شقيقتها؟"

"بالطبع لا يا عزيزتي، ولكن هُنا يأتي دورك، في إقناعها أنّكِ شقيقتها!"

"رغم أنني لم أرها قط! ولكنني أشعر بالحنين إليها، وأتمنى رؤيتها بأسرع وقت، حتى نبدأ رِحلتنا هذه!"

"لا تشغلي عقلك يا عزيزتي، فلا زال هُناك مُتَّسع من الوقت، حتى بدِء تلك الرحلة!"

أميرة

"ها، قوليلي بقى.. تاعبه أهلِك ليه؟"

قالها ذلك الطبيب النفسي، الذي كان يجلس إلى مكتبه في هدوء، وأمامه تلك الحالة ممدة على السرير، تشكو له ما يحدث لها من أوهامٍ وتصورات! ربما واقعًا وليس وهمًا، وربما الاثنين معًا!

أمس كانت تصرخ بشدة، داخل غرفتها المطلة على النيل، ذلك المنظر، الذي يسحر العين، وتهدأ له الأعصاب.

لا تدري ماذا رأت، فقد تتذكر حديث والداها: "يجب أن نذهب بها إلى طبيب نفسي، يجب أن تخرُج من ذلك العالم الذي يأسرها، يجب..يجب..." بلا حلول لتلك المشكلة التي لا تدري كيف وقعت بداخلها أسيرة، مقيدة بتلك السلاسل التي تشل الجسد، وتضعف النفس!

نظرت إلى الغرفة المحيطة بها، مجرد عيادة نفسية عادية، نظرت إلى الدكتور، و لم تُجب، قال الطبيب باهتمام:

"ما هو انتي لازم تتكلمي، مامتك تعبانة أوي وبتعيط علشانك، على الأقل طمنينا عليكي وقولي أي حاجة!"

هنا أجابت:

"مش فاكرة."

ابتسم الطبيب في حنان وقال:

"مش فاكره ايه بالظبط؟"

نظرت أميرة حولها مرة أخرى.. تلك العيادة، تلك الساعة التي توقف عقربها الصغير عند الثانية ظهرًا، تلك الصورة الكائنة على مكتب ذلك الطبيب، فتاة في الحادية عشرة من العمر، تبتسم مع أمها...

"آه..دي بنتي ... حداشر سنه...إيه رأيك فيها؟"

قالها مبتسمًا.

فكّرت قليلًا قبل أن تُجيب، فعيناها تحملان الألم، والمعاناة، التي لا يشعر بها سواها، وهي متأكدة، أنه لو تجمع ألف من أجود أطباء العالم النفسيين، لن يتمكنوا من علاجها!

قالت:

"حلوة... ماشاء الله عليها."

أجابها:

"ربنا يخلّيكي كلك ذوق!"

ثم فكر في شيء ما، ثم أردف:

"تحبي تشوفيها؟"

كانت قد سرحت بعقلها ثانيةً، فكرر:

"ها، تحبي تشوفيها؟"

انتبهت له وقالت:

" آه آه.. طبعًا."

نادى على السكرتيرة الجميلة! التي كانت تحمل جسدًا مثيرًا رائعًا، ترتدي ذلك القميص الوردي وبنطلونها الجينز يُظهِر مفاتنها بوضوح.

أقبلت إلى المكتب وأجابت في صوتٍ رقيق:

"نعم يا دكتور."

قال:

"هاتيلي نِسمة هنا.. هتلاقيها بتلعب تحت في الجنينة."

"حاضر يا دكتور."

ثم أغلقت الباب وذهبت لتفعل كما أمرها. نظر الطبيب إلى حالته بتركيزٍ أكثر، يدرسها، يدرس ملامحها البريئة، الطيبة.. فظن للحظة أن

هذه الفتاة من السماء! وأنها لم تُخطئ في حياتها قط! في الحقيقة ظنه كان على حق!

لحظاتٍ وأتت الصغيرة، المحبوبة.. ترتدي ذلك التي شيرت الأحمر الصغير، وجينزًا أزرق صغيرًا. جاءت راكضة نحو أبيها، وهتفت:

"بابا..بابا.. بابا!"

استقبلها والدها بذلك العناق الدافئ، المليء بذلك الحنان الذي يُحفَر داخل عقول الأطفال في مثل هذا العُمر! قبّلها، ثم أشار لها بأصبعه إلى أميرة التي كانت ما زالت مستلقية على ذلك السرير:

"دي أميرة.. اللي كلمتك عليها.. يلا روحي سلمي عليها."

بالفعل ذهبت ومدّت يدها إلى أميرة التي وقفت وجلست على ذلك الكرسي أمام المكتب.

"أهلا و سهلًا."

قالت مبتسمة.

وقف الطبيب وقال:

"طيب..أسيبكوا بقى مع بعض.. يمكن أميرة مكسوفة مني.. أنا متأكد إنك هتأرريها يا نسمة!"

ضاحكًا، ثم توجه نحو الباب، وخرج.

جلست الفتاة على الكرسي في مقابل الحالة، تنظر لها باهتمام وتركيز.. سرعان ما قالت بصوتها الصغير:

"هو انتِ بقى عندك عروسة باربي زي اللي بابا جايبهالي؟"

عن براءة الأطفال أتحدث!

أجابت أميرة مبتسمة:

"آها، عندي واحدة بلعب بيها كل يوم!"

ضحكت الفتاة وقالت:

"إسمها إيه؟ أنا بتاعتي اسمها (أرميلا)."

ابتسمت المراهقة وقالت:"اسمها حلو أوي..اسمها يا ستِي (اليس)."

قاطع حديثهما الشيق، صوت فتح باب العيادة، وإذا بعيني الفتاة تتسعان خوفًا ورعبًا مما تشاهده أمامها!

امرأة في كامل نقابها الأسود، انسابت عبر بوابة العيادة، ووراءها ثلاثة مثلها تمامًا! كن يسرن في انتظام، كالبطة الأم في المقدمة، وأولادها يسرن وراءها في انتظام تام.

توجهن نحو الصغيرة التي ابتسمت عند رؤيتهن، عُقد لسان أميرة، لا تعرف ماذا تقول؟ أتصرخ؟ ولماذا تصرخ؟ هم من البشر وجئن للاطمئنان على الصغيرة! وربما هن زوجات الطبيب، ولكنهن متدينات!

ربتت امرأة منهن على كتف الصغيرة، ووقفن جميعًا حولها، يهمسن لها، والصغيرة تُبادلهن ذلك..وتنظر إلى أميرة في رعب! وتتابع الهمس معهن، كأنهن يقلن شيئًا ما عنها ولا يريدنها أن تستمع!

كن طويلات القامة! نحيلات الجسد، كأنهن نُسخ متشابهة في كل شيء! التفتت امرأة نحو أميرة التي بدأت تنتفض في مكانها، أقبلت إليها في بطء و هدوء! حتى أصبح وجهها المدفون وراء ذلك النقاب ملامسًا لوجه أميرة.. وبدون مقدمات، رفعت كلتا يديها السوداوين، وقبضت على عُنق أميرة خانقة لها بقوةٍ وعنف!

صارخة:

"يجب أن تُستخرج روحك! يجب أن تُستخرج روحك! حتى تتمكن من العودة!"

صرخت بأعلى صوتها، ولكنها كانت تختنق بالفعل..وتسمع ضحكات تلك الصغيرة، وهي تقول:

"أرومولا زعلانة!"

ظلت تصرخ وتُقاوم ولكن بلا جدوى، كادت أن تفقد الوعي من شدة الاختناق! وهنا بدأت تتذكر شريط حياتها يمر أمامها.. أمها التي تعانقها كل صباح قبل الذهاب إلى المدرسة، وقُبلة أبيها لها عندما يصل بها إلى بوابة المدرسة، صديقاتها المخلصات لها يلعبن معها في تلك الساحة الكبيرة ويركضن وراء بعضهن البعض!

ولكن.. لم تمت.. بل فقدت الوعي.. مرة أخرى، كالسابق!

إيفالين

(الحيرة تصيب العلماء بسبب فتحة عملاقة،كبيرة العُمق، شديدة الانحدار، تم العثور عليها بغتة بجانب أهرامات مصر الثلاثة! وقد أكدّ العالِم "ألبرت ليو مارتن" أن هذه الحفرة العملاقة ظهرت في منطقة جليدية بشمال روسيا في الخمس سنوات الأخيرة، ولكنها اختفت كُلية! وها قد عادت مرة أخرى، مُستَقِرّة في مصر!)

– شريط الأخبار في إحدى القنوات المصرية.

"يا ختي عسل خاااااالص، ايه ده بس ياللهوي علياااا يا خوااايّ!"

قالتها تلك الفتاة، ذات الأربعة وعشرين ربيعًا. بتلقائية، عندما رأت ذلك الطفل الذي بالكاد كان يزحف على أنامله الصغيرة!

"إيه الكميلة ده يا ناس"

كررت مُداعَبَته، وسط تلك العائلة المكونة من الأب والخالة، ونجلهم الشاب الذي يكبرها بعام ، وذلك الملاك الزاحف.

كانت تجلس الشابة على تلك الأريكة في الصالة، بجانبها ويندي ممسكة بذلك الطفل، وبجانبها والدها وزوجته المغربية، أمامهم على الأريكة الأخرى حيث كانت تجلس عائلة جرجس.

كانوا يتحدثون هذا الحديث، عمَّا يدور في المشهد السياسي، والوسط الفني، كانوا يتضاحكون، ويقضون وقتًا عائليًّا ممتعًا.

كانت مَيس، المغربية، تحاول أن تنسجم بين العائلتين، فهي امرأة طيبة، اجتماعية، جميلة الملامح! بينما كانت إيفا في ذلك العالم الآخر، عالم العشق والغرام! فقد كانت تنظر إلى ذلك الشاب الذي يُدعى بيتر، كان شابًّا ذا ملامح طيبة، لا يتوقف عن الابتسام، وعيناه العسليتين، لا تتوقفان عن النظر إلى تلك الشابة السمراء!

لم تختلف عن أُختها كثيرًا، فقد كانت سمراء ،طويلة الساقين، عيناها سوداوين كأبيها، وذي بسمة لا تفارقها، لاحظت ويندي تلك الابتسامات على وجه أُختها،وشعرت بدقات قلبها، إنها دقات الحب! التي تأتِي فجأةً دون سابقَ إنذار!

ولكن سرعان ما تنتهي تلك اللحظات الجميلة،حيث وقف السيد جرجس وأعلن عن ذهابه، بحجة أن الوقت تأخر! حجة نقولها جميعًا فقط من أجل الهروب من منزل المُضيف!

لا تعلم، زادت سُرعة دقات قلبها، فهي حزينة لأنه سيذهب الآن! كان ناظرًا لها تلك النظرة التي تقول في ثقة تامة:

"هتوحشيني أوي يا حبيبتي."

لتُجيب عليه بعينيها:

"وإنت كمان، هتوحشني أوي!"

وذهبت عائلة جرجس.

أسرعت إيفا إلى غرفتها تتجه لتأخذ هاتفها من على الكومودينو، حيث يمكث بجانب سريرها المتواضع في فراشه، أخذته بعنفٍ شديد! حيث تلقت ما كانت تعلمه.

"وحشتيني!"

رسالة من بيتر على (الواتس آب)؛ لتجلس على سريرها،وتبدأ في كتابة الرد، في ابتسامة حنان لا توصف!

كَتبت:

"هو أنا لحقت أوحشك! ماحنا كنا لسه قاعدين مع بعض!"

ليجيب هو مبتسمًا:

"انتي متعرفيش إني لما ببعد عنك خمس ثواني بس.. قلبي بيحصله إيه؟!"

ابتسمت و كتبت:

"آها يعني لو بعدت عني أربع ثواني بس كده مش هوحشك يعني؟☹"

ليضحك هو كاتبًا:

"أربع ثواني!..ده أنا أموت فيهم يا حبيبي!"

لتتبدل ملامحها من الابتسامة، إلى الذم على شفتيها:

"لا لا لا...بعد الشر عليك يا حبيبي."

ثم أضافت:

"بحبك."

لُجيب:

"و أنا بعشقك!"

كانت سارحة في ذلك العالم البعيد، الساحر، الذي لم تدخله قط منذ أن ولدها أُمها، فكانت فتاة مُطيعة لأمها التي كانت تُحذرها من حب المراهقة ومتاعبه، ونتائجه!

حتى لاقت ذلك الشاب الذي خطف قلبها، وأغمض عينيها عن الدنيا، حيث لا ترى إلا هو فقط!

إنها نعمة يهبها الله عباده، كثيرًا منّا مُحروم منها، من الحب.. من ذلك الشعور الذي يُصيب القلب، فتشتعل في داخله تلك النار التي توهج مشاعرك، نحو ذلك الشخص المتسبب في ذلك!

كل يوم، كل صباح، كل مساء، كل ساعة، كل دقيقة، كل ثانية.. احمد الله على تلك النعمة إذا كنت تنعم بها!

لم تلحظ الشابة وقوف ويندي أمامها، ضاحكة.. فكانت تراقب معالم وجهها جيدًا، كانت كالبلهاء!

"ويندي! إنتِ هنا من إمتى؟"

هتفت الشابة السمراء.

ضحكت ويندي وأجابت:

"ما هو بصراحة إنتِ كنتي هبلة أوي! كنتي عمالة تبتسمي وتضحكي..فلاقيتها فرصة مناسبة للتصوير!"

اتسعت عيناها وقالت:

"إيه إيه!! هو انتِ...؟"

أومأت ويندي برأسها بنعم، ثم ضحكت! أسقطت إيفا هاتفها على السرير وركضت نحو تلك الصغيرة الضاحكة!

ويندي

بعد المعركة مع شقيقتها، غلبهما النعاس، واتجهوا جميعًا الي غُرفهم.. أغلقت ويندي باب غرفتها، وأسرعت إلى سريرها، تدفأت تحت لحافها، وكعادها وضعت تلك السماعات في أُذنيها، تستمع إلى تلك الأغنية التي لا تسمع سواها:

Alex & Sierra - Just Kids

ذلك الجيتار الساحر لأُذنيها!

و تلك الفتاة التي كانت تُردد وراء المُغني بـــ:

la la la love it،I love it

حقًا أغنية رائعة بالنسبة لها، كانت تُعيدها في كل مرة تنتهي فيها، حتى استسلمت لذلك النعاس المرضي، وسرعان ما سلمت جفنيها للمنام!

كان المنزل في حالة من السكون التام، والهدوء المخيف، فالجميع نائم في سلام، غير مدرك لتلك الموسيقى التي بدأت في التسلل داخل غرفة ويندي، انسابت حيث الظلام الحالِك، والطقس البارد، والذي أوحى أن السماء على وشك أن تُمطر!

استيقظت ويندي من نومها العميق، كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، على صوت تلك الآلة الساحرة! آلة الكمان! حيث كان هُناك شخص ما يعزف بتلك الآلة داخل غرفتها، فالموسيقى تتسلل إلى أذنيها، وإلى قلبها! فقد كان العزف بإحترافية شديدة، حيث تدخل الموسيقى إلى القلوب لا الآذان! وهذا ما شعرت به ويندي، رغم خوفها الشديد وارتجافها من الصدمة!

شخص ما يعزف آلة كمان داخل غرفتي! ماذا؟ ولكن سرعان ما بدأ ذلك الشخص، في الغناء!

إنه صوت تلك المرأة، التي كانت تقف في ذلك الركن المُظلم من الغرفة، حيث لا يسقُط عليه ذلك الضوء الخافت القادم من النافذة،كم جميلًا صوتها! عذبًا لا يقاوم! ويندي لم تكن تعلم، أيجب أن تخاف؟ أم تستسلم لذلك الصوت الرائع، الممتزج مع بذلك العزف الاحترافي!

بدأت تلك المرأة بالغناء بالفعل، صوتها جميل ولكنه مُختلج!

كأنها تُغني وهي خائفة، أو غير مطمئنة!

غنَّت بتلك الكلمات غير المفهومة بالنسبة لها:

" Can you feel me hurting،

Like a flame which burning،

But a white arrow crossing my heart،

It tells me that she's not far....

Sai Hurtre Miz Dothrey!!

Sai Hurtre Miz Dothrey!! "

و ظلت تُكرر تلك الجملة الأخيرة، مرارًا وتكرارًا:

Sai Hurtre Miz Dothrey!!

كانت ويندي في حالة عجزت عن وصف نفسها!

فإذا قلت إنها كانت خائفة، ترتجف، تتجمد من الرعب! فهذه مجرد تعابير بسيطة يمكنني أن أصف بها ذلك المشهد!

ولكن، كل ما فعلته هو أن تجلس مرتعشة على سريرها في هلع، تحت لِحافها الذي أصبح حارًّا عليها! تستمع إلى ذلك العزف الساحر، وإلى صوت تلك المرأة الغريبة التي ما زالت تُكرر تلك الجملة التي لم تفهمها المراهقة!

Sai Hurtre Miz Dothrey!!

تعرقت مسامها، وانهمرت الدموع من عينيها كالمطر، تريد أن تصرخ، ولكن عُقد لسانها، وشُلت حركتها، ما الذي يحدث؟! وما زال صوت المرأة يعلو في الغناء، وتكرار تلك الجملة، التي توضح رسالة ما.. "أريد إبنتي!"

مايسي

كانت سيلين تنظر إلى الملك وزوجته الجميلة، بتلك النظرة الشاردة، غير مبالية بذلك الخطاب الذي يلقيه الملك على الشعب، داخل ذلك القصر، حيث كان يجلس الجميع على تلك المائدة الضخمة! أمامهم ذلك الطعام، الذي لم يمسه أحد حتى الآن.

كان الملك يجلس على عرشه، وبجانبه زوجته مايسي، كانت تنظر إلى إبرام دراكون، تقول له:

متى سنهجم؟ بينما كان الملك منهمكًا في ذلك الخطاب، حيث قال:

"أنتم تعلمون كم صمدت تلك الجزيرة أمام الغزاة الأوروبيين، الذين حاولوا احتلال تلك الأراضي الخضراء، المباركة من الرب الأعلى في السماء، حيث أنعم علينا بذلك الكنز الذي نحتكره، أبقار

مايسي

كانت سيلين تنظر إلى الملك وزوجته الجميلة، بتلك النظرة الشاردة، غير مبالية بذلك الخطاب الذي يلقيه الملك على الشعب، داخل ذلك القصر، حيث كان يجلس الجميع على تلك المائدة الضخمة! أمامهم ذلك الطعام، الذي لم يمسه أحد حتى الآن.

كان الملك يجلس على عرشه، وبجانبه زوجته مايسي، كانت تنظر إلى إبرام دراكون، تقول له:

متى سنهجم؟ بينما كان الملك منهمكًا في ذلك الخطاب، حيث قال:

"أنتم تعلمون كم صمدت تلك الجزيرة أمام الغزاة الأوروبيين، الذين حاولوا احتلال تلك الأراضي الخضراء، المباركة من الرب الأعلى في السماء، حيث أنعم علينا بذلك الكنز الذي نحتكره، أبقار

المِلّيري، والتي يتصارع عليها ملوك أوربا!...فهم مُدركين تمامًا، كم هي كنز لا يُفنى، فكما تعلمون، إن هذه الأبقار لا تموت عِند ذبحها!"

صمت لفترة، يتأمل في تلك الأنظار المنتبهة إليه، ثم أكمل: "شعب مولاريا العظيم، اليوم سنحتفل جميعًا بهذا الزواج، وأقصد بـــجميعًا، أنكم اليوم معفون من العمل بقية اليوم،سينتهي ذلك الحفل، وتذهبون إلى بيوتكم في سلام، ستقضون بقية اليوم مع أولادكم وبناتكم، تحكون لهم تلك القصص، عن أمجاد الجزيرة الوملارية!"

هتف الشعب باسم الملك، وعمت البهجة داخل تلك القاعة الكبيرة، حيث أشار لهم الملك بأن يبدؤوا في نَسفِ الطعام الذي أمامهم!

لحظاتٍ وكانت تلك الصحون فارغة! وسرعان ما انتهى الحفل، وبدأ الناسُ في الخروج من بوابة القصر، وهم في غاية السعادة، من أجل ذلك العفو، فدائمًا ما يعمل ذلك الشعب طوال النهار والليل، في المزارعِ والمصانع، حيث تُستهلك طاقتهم، فيصيبهم ذلك الإرهاق الذي يسيطر على البدن، وبالكاد ينظرون إلى أبنائهم في البيت، ويخلدون إلى ذلك النوم العميق!

سرعان ما خرجت سيلين مع والدها، وتوجهتا إلى ذلك الكوخ الدافئ،حيث أوقدتا نار تلك المدفأة القديمة، وجلستا تتبادلان الحديث عما دار بداخل ذلك القصر!

أثناء ذلك كان الملك في قِمة سعادته! يُحاول خلع ملابسه المَلكية، للاستعداد لقضاء أجمل ليلة مع زوجته الحبيبة!

الذين يريدون الوصول إلى ذلك العرش، لغزو العالم والسيطرة عليه! ولكن هذا ضد مبادئ آل فايلز، المسالمين!

كان السكون يسود العاصمة ميريز، حيث الرياح المنعشة تهب خارج القصر، تُحرك أوراق الأشجار في هدوء، إشارةً إلى بدء المعركة الدامية! كانت مايسي تقوم بدورها على أكمل وجه، حيث كما أُمرت، أن تتزوج ذلك الملك الطيب، تنام معه في تلك الليلة، حتى.. تَنالَ منه!

وبالفعل، هذا ما حدث، حيث اتخذت الغدر عنوانًا لها، في تلك الليلة السعيدة على الملك، حيث كان نائمًا، سابحًا في أحلامه التي تحققت أخيرًا! ولكنه لا يعلم، ماذا يُخبئ القدر له، لا يعلم أنه شَرب من ذلك السُّم الذي وضعته زوجته في ذلك النبيذ الفاخر، الذي شربه منذ قليل!

هانز

بعيدًا، في فرنسا، حيث كانت موطنًا لأولئك القوم، آلـــ شتروخ، حيث كان يجلس ذلك الشاب الذي يُدعي هانز، في العشرينيات من عُمره، عيناه زرقاوان واسعتان، وشعره أخضر طويل، ذلك الذي لطالما ميَّزَ آل شتروخ، عن الشعب الفرنسي!

يجلس في تلك القلعة القديمة، في مدينة مارسيليا، حيث منحها الملك لويس السادس عشر قائد أولئك القوم، لأسبابٍ سياسية مجهولة حتى الآن! كان المجلس يضُم عددًا من العلماء والقادة من آل شتروخ، حيث اجتمع بهم هانز، ليصلوا إلى حل لتلك المشكلة!

بدأ هانز الحديث قائلًا:

"كيف لم يُخبرني أحد! كيف؟"

أجابه تايمي، أحد قادة الفرق العسكرية لآل شتروخ:

"سيدي، أقسم لك أن الخبر قد وصل منذ ساعة فقط! فأخبرناك!"

قال هانز، وكان وجهه ينطُق غضبًا:

"الملك سيُقتل اليوم من قبل آل فرايجز! هل تعلمون ما معنى هذا؟"

لم يتفوه أحد، فأضاف:

"هذا يعني أنهم سيصلون إلى ذلك العرش!"

حاول أحد العلماء الإجابة على هانز، ولكن قاطعه في غضب:

"هذا العرش ملكي!"

"نعلم يا سيدي، ولهذا جئنا لك بالخطة التي ستوصلك إلى ذلك العرش"

أجابه ذلك الرجل الذي يُدعى (جو مارتين)، قائد عسكري من الدرجة الأولى!

" أي خطة! الخطط جميعها فشلت!"

"لا.. فهذه الخطة مختلفة بعض الشيء، جاءت من داخل القصر الملكي المولاري!"

صاح هانز:

"ماذا تقصد؟"

أجابه جو في هدوءٍ شديد:

"خطة احتلال بريطانيا!"

رفع هانز حاجبيه في دهشة! ثم ضحك بسخرية شديدة! وقال في هدوء:

"هذه دُعابة، أليس كذلك!؟"

أجابه جو مبتسمًا:

"لا يا سيدي، ليست دُعابة، إنها حقيقة."

ضحك كل من في المجلس، استهزاءً بهذه التخاريف! فكيف لجزيرةٍ أن تغزو تلك القوة العُظمى في العالم؟!

أضاف في هدوء:

"سيكوّن إبرام دراكون جيشه القوي، ثم سيُمحو ما تبقى من آلـــ فايلز حتى يستطيع تحقيق ما تمنوه أولئك القوم من غزو العالم أجمع!"

ضحك هانز، وقال:

"وكيف سيغزو بريطانيا؟ بالسيوف؟!"

قال ساخرًا.

أكمل جو:

"لا يا سيدي، بل بذلك السلاح السري."

تعجب كل من كان حاضرًا، وازدادت علامات الاستفهام على وجوههم! ماذا يقول ذلك المجنون!

أضاف:

"سلاح آسيرلا!"

رفع هانز حاجبيه في دهشة! ثم ضحك بسخرية شديدة! وقال في هدوء:

"هذه دُعابة، أليس كذلك!؟"

أجابه جو مبتسمًا:

"لا يا سيدي، ليست دُعابة، إنها حقيقة."

ضحك كل من في المجلس، استهزاءً بهذه التخاريف! فكيف لجزيرةٍ أن تغزو تلك القوة العُظمى في العالم؟!

أضاف في هدوء:

"سيكوّن إبرام دراكون جيشه القوي، ثم سيُمحو ما تبقى من آلـ فايلز حتى يستطيع تحقيق ما تمنوه أولئك القوم من غزو العالم أجمع!"

ضحك هانز، وقال:

"وكيف سيغزو بريطانيا؟ بالسيوف؟!"

قال ساخرًا.

أكمل جو:

"لا يا سيدي، بل بذلك السلاح السري."

تعجب كل من كان حاضرًا، وازدادت علامات الاستفهام على وجوههم! ماذا يقول ذلك المجنون!

أضاف:

"سلاح آسيرلا!"

هنا، ساد المجلس الصمت، والهدوء، والخوف أيضًا!

قال الملك، مستنكرًا:

"لا.. مستحيل! أنت تمزح!"

قال جو مبتسمًا:

"لا يوجد مُستحيل، بعد أيام قليلة، سنقول لأحفادنا: كانت هناك دولة تسود العالم، تُدعى بريطانيا! وأنتم تعلمون ماذا سيكون دورنا بالطبع!"

انفعل هانز وصاح:

"ما الذي تُخرف به يا جو! أجُننت؟ آسيرلا! لا يستطيع أحد أن يتحكم بها، ولا حتى التحدث معها! كيف لصُعلوق مثل إبرام أن يستخدمها كسلاح لاحتلال بريطانيا؟!"

ثم صمت بغتة استجمع فيها أنفاسه، ثم أردف:

"و لو أنه نجح في كَسبِها في صفه، أتدرك ما حجم الكارثة التي ستحل بالبشرية؟! بل بالكون أجمع؟!"

أجابه جو:

"سيدي، أدرك تمامًا حجم الكارثة التي ستحل علينا جميعًا، ولكن..ماذا عسانا أن نفعل حيال ذلك؟لا يمكننا مواجهة إبرام الآن.. التحالف بينه وبين آسيرلا سيقضي علينا، و..."

قاطعه هانز:

بسَّام

كان الشارع يسوده ذلك السكون المرعب، والظلام حالك، فمن المُستحيل أن ترى يديك! ولكن ضوء النجوم المُنبعثة يُعطي أملًا في رؤية ذلك الشارع، غير معروف الهوية، فقد كان يسير فيه ذلك الفتى الطويل، المُتكبر. لم تظهر ملامحه إلا عندما عبر من خلال ذلك الباب، المؤدي إلى تلك الغرفة، تحت الأرض بخطواتٍ بسيطة!

تابع في السير، في ذلك المكان الذي يُشبه نفقًا! فقط أضواء خافتة تُنير المكان، سرعان ما وصل إلى مبتغاه، فقط وقف أمام ذلك الحائط المُتسخ، ومد يديه في هدوء يدفع الباب السري في ذلك الحائط!

سرعان ما نزل عبر تلك السلالم الخشبية القديمة، ليصل إلى ذلك المخبأ، والذي وجد فيه أصدقاءه المقربين: عمر، أدهم، طارق، بشّار.

كانوا يجلسون على تلك الأريكة القديمة، في انتظاره، بدأ بشّار في الحديث بسرعة:

"إيه اللي أخّرك؟"

أجابه بسّام في هدوء:

"كنت بعمل شوية حاجات كده."

أومأ بشار برأسه، ثم قال: " إيه الأخبار طيب؟ "

ابتسم بسّام تلك الابتسامة الشريرة، وقال:

"بكره...الساعة 8 بليل."

ابتسم طارق، وقال:

"اها... ومين الفراشة بقى؟"

أجابه بسّام بنفس تلك الابتسامة:

"3 فراشات يا طارق!"

ضحك أدهم قائلًا:

"واااو!! 3 مرة واحدة؟!"

أجابه بسّام:

"بكره هنطلع على بيتهم، هنقتحمه زي ماحنا متعلمين.. والباقي عليكوا بقى."

"صحيح يا بسّام، ناوي تعمل إيه مع زهرة؟"

سأل بشّار.

"لسه، مش دلوقتي."

زَهرة

كان يومًا جديدًا في تلك المدرسة، حيث نفس المشهد المُعتاد، الطلاب يركضون هنا وهناك فرحين، ومن يتجول كالتائه في الساحة! إلخ.

كانت زهرة تنظر إلى تلك المراهقة السمراء، التي كانت جالسة على تلك الكراسي الخشبية تبكي، نعم.. فما حدث لها ليلة أمس كان شديدًا عليها، لم تستطع الغياب، فماذا كانت ستقول لأبيها أو شقيقتها؟

اتجهت نوحها في هدوء، حتى وصلت إليها، كانت مُحاطة بصديقاتها اللاتي كن يُحايلنها كالطفلة! أشارت زهرة لصديقات ويندي بالذهاب، لأنها تريد أن تتحدث معها على انفراد! سرعان ما ذهبن جميعًا، وجلست زهرة بجانب المراهقة، بدأت زهرة الحديث: "مالك يا ويندي... احكيلي ايه اللي حاصل معاكي؟"

كانت ويندي تُفكر... أهذا كان كابوسًا؟ أم أوهامًا تحدث بسبب ما رأته في ذلك الطابق؟ تلك الحيرة اللعينة! هي فقط تُريد إجابات لما رأته ليلة أمس!

نظرت إلى زهرة، ثم أجابت بصوتها الحزين الذي كأنما صنع من أسًى:

"فضلت تكرر في جملة مُعينة مفهمتهاش!"

"جملة ايه؟"

تساءلت. ما زالت تُفكر:

"صوتها كان حلوًا، وعزفها أحلى! بس..بس....ازاي؟"

وسالت تلك الدموع مرة أخرى!

احتضنتها زهرة، ثم همست:

"Sai NT Miz Dothrey!"

انتفضت ويندي في هَلَع! وقالت:

"إيه ده!! انتِ عرفتي منين الجملة دي؟!"

لم تُجب زهرة على ذلك الوجه المُتسائل! فقط قالت:

"أنا حزرتك.. وقولتلك.. امنعي فضولك، وانتِ مافيش فايده!"

ثم وقفت، وأضافت:

"شوفي يا ويندي، مش هخبي عليكي.. أنا عارفة مين الست اللي كانت بتغنيلك امبارح دي.. صدقيني، انتي اللي اقتحمتي العالم ده!"

كادت أن تُشل، وتسقط مغشيًّا عليها! لولا أن أنعم الله عليها بالهدوء الذي ساد قلبها، وقالت:

"انتِ مين؟"

لم تُجب، وذهبت، تركت ويندي والأسئلة تتراقص داخل عقلها، تقف حائرة، مُنتظرة من يُنجدها من ذلك العناء الذي يُسمى بـ "الحيرة!"، وأيضًا ذلك المرض المُسمى بـ "الفُضول".

أحمد

مرَّ اليوم الدراسي بسلام على ذلك الشاب، خرج هو وصديقه من المدرسة، يحدقون بتلك الفتيات الخارجات من بوابة مدرسة البنات!

"انت بتدور على حد؟"

سأله أيمن.

أجاب:

"آه.. زهرة."

"ليه؟"

"سمعت إنها هتروح النادي النهاردة لوحدها، لقيتها فرصة ومش هتتعوض! "

"إنت مجنون يا بني! روِّح ياعم بطل هبل."

نظر إليه في شرود:

"هتيجي معايا ولا هروح لوحدي؟"

أجابه أيمن:

"لا يعم، روح لوحدك.. لحسن لو هاجر شمّت خبر، هروح في داهية!"

"طب ماشي."

ثم أضاف:

"أهي زهرة أهي...همشي وراها لحد النادي،وهفكر ازاي هكلمها هناك بقى."

أجابه أيمن:

"طب أستأذن أنا بقى... يلا عاوز حاجة؟"

"لا شكرًا.. سلام."

"سلام."

كانت تسير بهدوء مرتدية حقيبتها المدرسية الخفيفة، متوجهة إلى ذلك النادي خلف المدرسة. سرعان ما دخلت النادي، وأحمد خلفها، يُراقبها!

جلست إلى تلك الطاولة التابعة لأحد المطاعم، سرعان ما أتى النادل إليها، عارضًا قائمته المليئة بالمشروبات، أشارت إلى عصير الفراولة.

"تحت أمرك."

قالها ثم ذهب.

استندت بظهرها على الكرسي، ثم سبحت في محيط أفكارها!

رأى أحمد أنها الفرصة المناسبة للهجوم، ظل واقفًا في مكانه، يريد أن يخطو ولكنه متردد خائف! لا يعلم لماذا يدُق قلبه بهذه السرعة؟ ولكنه سرعان ما تشجع،وذهب إليها.. سحب كرسي أمامها، وجلس في هدوء!

"الجو حلو، مش كده؟"

نظرت إليه في شرود، وقالت:

"جو الأفلام العربي ده مش عليّا."

زاد ارتباكه، ولكنه قال:

"أفلام عربي ايه بس..أصل أنا بقضّي معظم الوقت هنا في النادي، فبالصدفة لمحتك، فقلت أجي أسلم عليكي!"

أجابت بتلك النظرة الفارغة:

"آه.. تمام!"

ساد صمت طويل بينهما، حتى أتى النادل، ووضع ذلك الكوب الممتلئ بعصير الفراولة أمامها، أمسكت بالكوب في رِقّة، ورشفت رشفة صغيرة، ثم أعادته مرة أخرى إلى الطاولة، هنا كسر أحمد حاجز الصمت قائلًا:

"إنتِ مين؟"

ابتسمت في خجلٍ لأول مرة، وقالت:

"أنا؟ أنا زَهرة."

تتطلب الأمر رشفة أخرى قبل أن تُضيف:

"ومش لازم تعرف عني أكتر من كده."

رد عليها ذلك الرد المعتاد بين المراهقين: "هو انتِ مصاحبة أو...بتحبي يعني؟"

وضعت ذلك الكوب أمامها مرة أُخرى،وابتسمت ابتسامة تحمل الكثير من الأسرار! وقالت:

"أنا ماينفعش أصاحب أو أحب."

"ليه؟!"

سأل بتعجب.

أجابت في هدوء:

"أولًا..أنا مش بتاعت الكلام الفاضي ده.. ثانيًا.. ربنا حكم عليا إني مصاحبش و لا أحب!"

"مش فاهم!"

"أفهمك.. بس يارب تفهم!"

قالت. ثم رشفت الرشفة الأخيرة لتُعلن عن انتهاء ذلك العصير، وأضافت:

"بص يا سيدي، أنا باين عليا كده إني من عيلة محترمة، ولا انت شايف إيه؟"

رفع حاجبه في دهشة وقال:

"بصراحة شكلك فعلًا بنت ناس ومن عيلة مُحترمة."

أضافت:

"جميل،واللي من عيلة مُحترمة دي ينفع تصاحب واحد من العامة؟ ده لو أنا عاوزة أصاحب يعني؟!"

تراجع أحمد خطوات بالكرسي، وأصابه الضيق في صدره، فهو يعلم أنه من أولئك العامة التي تتحدث عنهم، قال في اختناق:

"معاكي حق، أ... أكيد لأ!"

ابتسمت، وقالت:

"ها قولي بقي تحب أعزمك علي عصير إيه؟"

أجابها في حزنٍ ملأ عينيه:

"لا متشكر أوي، أنا همشي بقي علشان مينفعش أطول معاكي أكتر من كده!"

سألت بتلك النظرة الفارغة:

"طيب ليه؟"

أجابها في حزن:

"يعني... علشان أهلك بقى وكده."

انفجرت في الضحك!فعَلَا صوتها حتى رنّ داخل أركان النادي!

رفع حاجبه في تعجب وقال:

"هو أنا قلت نكتة ولا حاجة؟!"

أجابته ضاحكة:

"هاهاهاهاها.. أهلي؟!"

ثم تابعت الضحك، ولكن سرعان ما أضافت مبتسمة:

"أحمد! أهلًا بيك."

أميرة

كانت تتجول داخل تلك الحديقة الكبيرة، المليئة بتلك الأشجار الخضراء، والحشائش الجائعة الطويلة، وكانت تلتفت حولها كالمجنونة! سرعان ما أقبلت فراشة زاهية الألوان، يتفرع من وجهها الصغير ثلاثة قرون! هُنا، همست لأميرة:

"إتبعيني! "

ظلّت تتبعها بين المروج، تخطو بقدميها الحافيتين، حتى قادتها إلى ذلك القصر الكبير أمامها، توجهت نحوه في هدوء وحذر، تطلب الأمر وثبة صغيرة منها لعبور ذلك السلسبيل الفاصلٍ بينها وبين بوابة ذلك القصر! حتى اقتربت من تلك البوابة الزجاجية، التي تعكس أشعة الشمس الساحرة على ذلك الوجه الجميل، الذي لا يستحق كل هذه المعاناة! واختفت الفراشة!

مدّت يدها اليُمنى في حذر، ودفعت تلك البوابة حتى فُتحت، فعبرت في هدوء، حتى خطت على تلك الأرض الرُخامية الفاخرة!

تقدمت، واندهشت عيناها من تلك الأملاك باهظة الثمن! الكثير من التماثيل الأثرية المصنوعة من الكريستال، والكثير من الذهب والفضة و المجوهرات! أمامها كنز لا يُترك! وقفت حائرة، فهي لا تعرف أين هي؟ ومن يملك ذلك القصر وتلك الأشياء القيّمة!

ظلت مُنتظرة، حتى سمعت خطوات أقدامٍ صغيرة تتجه نحوها، وإذا بفتاة صغيرة، ترتدي فستان أحمر، تقف أمامها في ثباتٍ وسكون.. مبتسمة!

هبّت رياح انتزعت ثيابها بالكامل حتى أصبحت تقف عارية داخل القصر، وتلك الطفلة الصغيرة تنظر إليها في ابتسامة تحمل الكثير من المعاني والأسرار التي من الصعب البوح بها الآن!

ارتجفت من البرد، حاولت ستر جسدها، وهي تتأمل تلك الفتاة الصغيرة التي على وشك بدء الحديث.

"أهلًا بيكي في قصرنا."

قالت الطفلة مبتسمة.

لم تتفوه المراهقة بشيء، فقط تتأمل الموقف في صمت!

عادت أحبال تلك الفتاة الصوتية إلى العمل، وقالت:

"بُصّي لنفسك إنتي عريانة، وبردانة.. ومحدش هيساعدك غيرها!"

نظرت المراهقة إلى جسدها العاري، ثم تبدّلت ملامحها، مشيرة بـــ من؟

"طيب تعالي ورايا!"

بسّام

تسلل هو وأصدقاؤه في ذلك المساء، حتى أصبحوا بالقرب من الهدف، يرى بسّام بيعينه الوالدين يخرجان من باب تلك العمارة، ويركبان تلك السيارة الراقدة، وانطلقا مُسرعين.

همس بشّار:

"الآن!"

أثناء ذلك..داخل ذلك المترل، حيث تسكن تعيسة الحظ، (مَلَك) والتي دعت صديقاتها المقربات للمذاكرة! هذا ما يقوله البعض في البداية!

كانت تجلس إلى الطاولة، وبجانبها بسنت ونعمة، كن بالفعل في مرحلة المذاكرة الجماعية،ويستمعن إلى تلك الأغنية على هاتف مَلَك!

(مين بيعيش أكتر من عمره، مين عارف قدره، علشان يا حبيبي نضيع يوم في البُعد، ليه ده زمان كان اللي يشوفنا، يحلف بحياتنا، وإن احنا لبعض!)

كن في قمة التأثر بتلك الأغنية، فسرعان ما قالت بسنت:

"تصدقي الأغنية دي بتتكلم عليكي يا بت يا مَلَك؟"

نظرت مَلَك إليها بتلك النظرة الشاردة، وقالت:

"فعلًا."

قالت نعمة:

"طب مانتي اللي مدوخة الواد وراكي، قولي لنفسك..اهي.. جنات بتقولكماينفعش تضيعوا يوم في البُعد، مين عارف قدره؟"

وبالفعل، كان معها كامل الحق، فبمجرد أن قالت تلك الجملة.. شيء ما اخترق الباب بقوة حتى كسر بأكمله..كانت هذه لكمة بسّام القوية! دخل هو ومن معه، حتى أصبحوا جميعًا في مواجهة تلك الفتيات البريئات، أو كما يُقال تلك الفراشات!

صرخن جميعًا، حتى أمر بشّار بالقبض على الفتيات الثلاث في الحال! فسرعان ما ركض كل من عـــمر وأدهم وطارق، حتى تمكنوا من تلك الفراشات، وأحضروهن أمام بسّام، والذي كان يقف في ثباتٍ مخيف!

كانوا قد قُيدن من أيديهن بتلك الحبال القوية، لا أعلم كيف أتوا بتلك القوة والسرعة! أو أعلم ولكنني لن أبوح لكم الآن!

بدأت الفتيات في البكاء خوفًا، كن في قمة الفزع والرعب!

استطاعت صاحبة المترل التكلم بصعوبة، فقالت في اختناقٍ شديد:

"بـــ...بـــ..سّام! عاوز مننا إيه؟"

تحرك بسّام يمينًا،ويسارًا،يتجول داخل تلك الصالة الكبيرة، متأملًا معالم المترل.. ثم عاد إلى نقطة وقوفه، وقال:

"عاوز أعيش يا فراشة!"

صمت لبرهة، وأضاف في غضب:

"عاوزهم يرضوا عني و يخلوني أعيش....يا فراشة!"

توسلت إليه إحدى الفتيات:

"أرجوك يا بسّام، سيبنا في حالنا، والله العظيم ما هنفتح بوقِنّا بـــأنك جيت هنا."

وتوسلت فتاة أخرى:

"أرجوك يا بسّام! أرجوك!"

قالت مَلَك في غضب:

"أنا مش فاهمة أي حاجة من اللي انت بتقولها دي.. بس حرام عليك! احنا بنات عندنا أحلام وطموح، ونفسنا نحققها قبل ما نموت، أرجوك سيبنا في حالنا! أرجوك! "

لم تتحرك.طوبة من قلبه المُتحجر، فقط قال:

"ما هو انتوا مش هتعيشوا على حساب أُمي!"

وهنا كانت اللحظة التي أشار فيها بسّام إلى أصدقائه، ببدء ما سيفعلونه بتلك الفراشات!

صرخت الفتيات بقوة!واستنجدن بكل الأديان السماوية! ولكنهن لا يعلمن، إنه القدر، الذي اتخذ قراره في صمت! اليوم! في تلك الليلة، ستتوفى كل من: مَلَك، ،وبسنت ،ونعمة! هذا في كتابهن عند ربهن فوق السموات السبع! وأي موتةٍ سيموتنها؟!

بدأ طارق الذي كان ممسكًا بمَلَك، في تقطيع ملابسها في قوة رهيبة! غير مبالٍ بتلك الصرخات المرعبة التي تصدرها من أحبال صوهَا التي كادت أن تُقطع!

وبالفعل، تمكن منها، وأخرج ذلك السكين الحاد من جيبه، وبدأ في جرح نفسه كالمجنون! جرح يده اليُسرى حتى سَالت الدماء منها، فأصبحت تُقطر كالمطر! ثم بدأ في خلع بنطاله، فاتحًا فمه الذي يقطر زُبدًا، وهجم عليها كالكلب الجائع!

كانت الطعنات تخترق رحِمها كالسكين! وهي تصرخ في ألم لا يُقاوم! وما زال بسّام يقف في ثباتٍ شديد، مُتبسمًا تلك الابتسامة الشريرة! سرعان ما انفجرت الدماء من بين ساقيها كالفيضان! حتى قالت آخر كلمة لها قبل الرحيل إلى العالم الآخر، بصوتٍ مُرتجف، يائس:

"حسبي الله ونعمة الوكيل!"

ثم انتقلت إلى ذلك العالم الذي لا يعلمه إلا الخالق! تركها طارق غارقة في دمائها، ثم اتجه إلى بسّام، وقال:

"أول فراشة.. انتهت!"

ابتسم له بسّام، وأخرج تلك الورقة القديمة من جيبه، فتحها وأشار إلى بشّار بإعطائه قلمًا، أخذ القلم وعلّمَ به علي شيء ما زال مجهولًا! ثم رفع رأسه ناظرًا إلى الفتاتين، وقال:

"كده خلصت من أول فراشة..باقي انتوا... وكده هكون فاضلي 7 فراشات بس!"

كان الفتاتان في حالة انهيار عصبي حاد! وجهاهما غارقينَ في تلك الدموع البريئة! التي لا تفهم أي شيء، سوى أنها تُريد النجاة!

أكمل بسّام مُبتسمًا:

"لا لا... ماتعيطوش، وفروا العياط ده... يعني ينفع أخر ذكرى ليكوا تكون انكوا كنتوا بتعيطوا!!؟ لأ ماينفعش!"

ثم أشار إلى عمر وأدهم، بالقضاء عليهما، كما حدث مع صاحبة المنزل!

***

" هل قرأتِ رسالة فيرلوريا هذا الصباح؟ "

" لا.. أخبريني بما تحويه الرسالة! "

" تقول أن شقيقها تحالف مع الملك آدون، و تم تعينه نائبًا له!"

" و لماذا فعل ذلك؟ "

" لا أدري، و لكنها تقول في نهاية الرسالة: أصبحت مملكة النساء في خطرٍ الآن، أسرِعوا أرجوكم.. فالوضع يزداد سوءًا، وهذا ليس في صالح المَملكة المُغلقة!"

ويندي

ما بين الواقع والخيال،بين ذكرياتِ الماضي، وما يحدث في الحاضر، فقد كادت أن تفقد الفتاة عقلها!لا تعلم من أين تبدأ التفكير! هل في إسلام الذي يُحبها، وهي تَردعه دومًا، أم ذلك المحيط من الذكريات، عن والدها المتوفاة! والتي لا تعلم حتى الآن سبب وفاتها! فقد قال أبوها: إنها توفيت في ذلك الحادث أثناء عودتها من ألمانيا! فقد سقطت الطائرة و دُمرت بالكامل ولم ينجُ أحد!

ولكن هذا ما يُقال، وليس ما تُصدقه المراهقة، التي لها نظرة أخرى في هذا الموضوع: "أمي اختفت، وأبي يُخفي سرًّا لا أعلمه!" ودليل ذلك تلك المغربية التي تزوجها بعد وفاة زوجته بأسبوعٍ فقط!

تساؤلات تعتصر عقلها الصغير،وعلامة استفهام كبيرة تُحلق فوق رأسها كالطير! كيف حدث ما حدث في ليلة أمس؟! كان وجهها ينطُق بؤسًا، عندما دخلت إلى ذلك المنزل، الذي ولدت فيه، وعاشت

فيه أجمل أيام حياتها سابقًا!ألقت بحقيبتها على الأريكة، وأسرعت إلى غُرفتها، لتجد شقيقتها جالسة على جهاز الكمبيوتر، تتصفح ذلك السجن الإلكتروني المُسمى بـــ "الفيس بوك"

التفتت لها وقالت:

"ايه يا حبيبتي انتي جيتي؟"

أجابت في شرود:

"لا لسه أنا على أول الشارع و جايه!"

وبدأت في تبديل ملابسها.أدارت إيفا وجهها إلى شاشة الكمبيوتر مرة أخرى لتكمل ما تفعله .

ارتدت ويندي تلك الملابس المنزلية التقليدية، بنطلونًا رياضيًّا لا يتناسب مع ذلك التي شيرت الأحمر! جلست على سريرها وبدأت في فك تلك العُقدة في سمّاعاتها.. قائلة:

"أخبارك إيه مع بيتر؟"

أجابت إيفا في ابتسامة:

"بيسلم عليكي، وكمان.. هيكلم بابا الأسبوع اللي جي."

قفزت ويندي من سريرها هاتفة:

"أيوه بقى يا إيفييي!"

ثم قبّلتها من وجنتيها بحنان! وقفت الشابة، وقالت:

"طيب أنا هروح أجهز نفسي علشان نازلة"

"ليه رايحة فين؟"

ابتسمت، وأمسكت بتلك الخُصلة من شعرها:

"هنُقعد أنا وهو على كافيه.. هنتكلم شويه."

أومأت ويندي برأسها، وقالت:

"طيب تمام.. متتأخريش ."

"أوكي.. عاوزة حاجه؟"

"مُتشكرة.. سلامتك."

ثم خرجت من الغرفة، وعادت ويندي إلى سريرها، وتلك السمّاعات، وتلك الأغاني.. وذلك العالم الخاص بها!

لم تشعر بنفسها، فاستسلمت للنوم، غارقة في عالم من الأحلام! ولكن أعزائي القراء، لم تكن أحلام.. بل حقيقة!

حيث تسلل صوت تلك المرأة مجددًا، ممتزجًا بصوت الكمان الساحر! تُغني بتلك الكلمات:

"، See the tides of our seas

،And the flowers in our fields

،The children're singing to the sun

Then they praying after they've done...

Sai Hurtre Miz Dothrey!!

Sai Hurtre Miz Dothrey!!

Sai Hurtre Miz Dothrey!! "

وظلت تُكرر هذه الجملة، و هي تبكي!

أفاقت ويندي على تلك الكلمات، وتلك الموسيقى التي تخترق أذنيها كالسهم، وذلك الصوت الجميل الذي يُغني.. بحنان!

بدأت في الارتجاف، ناظرة حولها في هيستيريا، ضوء الشمس ما زال مُخترقًا النافذة، ولكن.. أين تلك المرأة؟

تشجعت ويندي، ووقفت على أصابع قدميها في حذر، تتجول في أركان الغرفة، باحثة عن مصدر ذلك الصوت.. الذي لا يتوقف! ولكن.. لا شيء! خرجت من الغرفة في حذر، تنظر حولها في جنون، تلك النظرات الخائفة،تقدمت وتقدمت..وتقدمت، حتى الصالة، والتي كانت عبارة عن حديقة كبيرة، مليئة بالحشائش والأزهار، تُهبّ الرياح بقوة لتهتز تلك الغصون المُحملة بالعصافير المُلونة! كانت السماء صافية تلمع! والشمس مُشرقة تبتسم، تبعث ضوءها الدافئ على تلك الشجرة المُتطايرة، حيث تستند عليها تلك المرأة، التي ما زالت تُغني، وبجانبها تلك الفتاة المُراهقة! ممسكة بآلة الكمان، وتعزف باحترافية شديدة!

ظنّت ويندي أنها تحلم بتلك الأحلام الغريبة، كعادتها، ولكن..

توقفت تلك الفتاة عن العزف،وكذلك المرأة عن الغناء،وتوجهت أعينهما إلى تلك الفتاة السمراء، التي تُحملق فيهما!

إيفالين

كانت جالسة على تلك الطاولة الصغيرة في ذلك الكافيه، مُنتظرة، حيث نظرت إلى ساعتها، مُتأخر دقيقة كالعادة!

ولكنها عندما رفعت رأسها وجدته جالسًا أمامها، تلك العين الصادقة في عشق تلك الشابة، تُحملق فيها، وتتمنى، أن تقضي ما تبقى من حياتها، فقط ناظرة إلى تلك العينين السوداوين، وذلك الشعر الطويل، وتلك الابتسامة التي تُعطي أملًا في تلك الدنيا الفانية!

اندهشت لبرهة! ثم قالت:

"ايه ده! إنت هنا من إمتى؟"

ابتسم وقال:

"أنا هنا من أول ما بدأتِ تُبصي في ساعتك، ولاقيتيني متأخر.. تقريبًا نص دقيقة!"

ابتسمت وقالت:

"لأ دقيقة يا بابا!"

لا تعلم لماذا صمتت فجأة! فقط أطالت النظر اليه،في حنانٍ يذوب في بحر من الحب والعشق!

ثم بدا عليها الخجل، وقالت:

"ها عامل ايه في شغلك؟"

تقدم بكُرسيه، وأجاب:

"أهو تمام.. ماشي الحال يعني.. وأنتي؟ ايه أخبار الكُلية معاكي؟"

أجابته بتلك النظرة الدافئة:

"تمام، شغالة."

"آخر سنة بقى وهنطير خلاص؟"

قال مُبتسمًا في حنان.

أجابت:

"اها..الواحد مش مصدق ان خلاص دي آخر سنة ليه في التعليم!"

اقترب منها بهدوء، قائلًا في حنان:

"وآخر سنة في العُزوبية برده! ولا ايه؟"

ابتسمت خجلًا وقالت:

"طـــبعًا! فرحان أكيد انت!"

لم يُجبها، فقط ظل ناظرًا إليها، ثم تذكر شيئًا جعل تلك الدموع تسيل من عينيه! تلك الذكريات، المدفونة داخل ذاكرته البعيدة!

***

كانت الساعة ما زالت السادسة مساءً، حين انطلقت إيفا إلى منزلها، كان وجهها يحمل تلك النظرة القلقة على حبيبها، لماذا بكى؟ ولماذا عندما سألته عن السبب بدَّل الموضوع وتحدث في جوانب الحياة المُختلفة هاربًا من سؤالها؟

لا أفهم شيئًا سوى أن قلبي يعتصر بين ضلوعي، وتقطر منه دماء الحب، والخوف علي بيتر!

فتحت باب المنزل بمُفتاحها، دخلت وأغلقت الباب وراءها في هدوء، سابحة في أفكارها وفيما حدث! تقدمت عدة خطوات، لتجد شقيقتها مُلقاة على الأرض.. فاقدة الوعي! دقات قلبها كادت أن تخترق صدرها، فأسرعت إليها، وهي تصرخ:

"ويندي.. ويندي.. ويندي!"

أمسكت بها وظلت تَهز في جسدها المُشلول، ولكن لا فائدة! ذلك الشعور الذي يأتِي فجاةً، وهو الخوف على شقيقتك الوحيدة! فماذا إذا حدث لها مكروه؟ مع من ستقضين بقية حياتك؟!

أخرجت هاتفها في حقيبتها في هلع، وحاولت أن تُمسك أعصابها وهي تضغط على زر الاتصال بوالدها.. طال جرس الهاتف، ولكنه في النهاية أجاب، لتسرع هي في قول:

"إلحقني يا بابا! ويندي مُغمى عليها!

سيلين

كان قد استولى بالفعل "آل فرايجز" على الحكم، حلم طال سنوات عدة، وها قد تحقق على أيدي الخائنين إبرام ومايسي.. ولكن، لم يهدأ "آل فايلز" الذين أقاموا العديد من الثورات ضد إبرام، وفشلت جميعها! ولكن..لم تفشل جميعها فقط، بل أمر إبرام جيشه بالقضاء على أولئك القوم، عن بكرة أبيهم!

لم يُظهر ذلك الخائن أية رحمة مع شعبه، فكان يقتل كل من كان يقف عائقًا طريق في تحقيق ذلك الهدف الخبيث..الذي لطالما حلم به آل فرايجز منذ زمن!

كانت سيلين تقف، فوق ذلك التل، تُراقب ثورة الشعب ضد الملك وشقيقته مايسي، الجميع في حالة غضب شديد! فجميعهم كانوا يُحبون ذلك الملك الطيب، الذي يستمع إلى شعبه، و يُشاورهم في حُكمه،علّمهم معنى السلام الحقيقي، والتسامح.. استغل ثروات تلك

الجزيرة التي وضعها الله شمال إسكتلندا، ولكن.. هل يعلم الله أن هذه الثروات ستُستخدم في إبادة البشرية فيما بعد؟

بدأت الحرب بين الشعب وَذلك الجيش الجبان، تشابكوا بالأيدي، ولكن سَرعان ما أمر قائد تلك الفرقة باستخدام السيوف، وقطع أعناق كل " فايلزي " على الجزيرة!

فرّ الناس هاربين عندما سمعوا بهذا الكلام، ولكن لم ينجُ إلا القليل منهم من تلك السيوف الحادة، التي كانت تخترق أعناقهم، وتُخرج أحشاءهم بوحشية! لماذا هذا الكُره السائد بين القومين؟ يعيشون في جزيرة واحدة،ويتحدثون نفس اللغة المولارية، ويأكلون نفس الطعام، عاداتهم وتقاليدهم واحدة! ورغم ذلك،تدفعنا الكراهية إلى فعل أشياء نريد أن نفعلها بسبب نفوسنا الخبيثة! ونُقتل في بعضنا البعض من أجل ذلك العرش!

أسرعت سيلين الي منزلها مُرتعشة، تصرخ بأعلي صوتها:

"أمي.. أمي.. إنهم قادمون!"

ويندي

الساعة الثانية عشرة بعد مُنتصف الليل، فتحت ويندي عينيها، لتجد نفسها على ذلك السرير، في ذلك المُستشفى الرتيب، إنه شعور لا يمكن وصفه! وهو عدم تذكر أي شيء!

جسلت على سريرها ثم نظرت حولها تتفقد المكان، غرفة عادية، تتسع فقط لسريرٍ واحد، رفعت رأسها إلى أعلى لتنظر إلى تلك المروحة التي تدور ببطء! أعادت رأسها إلى الأمام، لترى تلك الفتاة، التي كانت تعزف بآلة الكمان بجانب المرأة المُترنمة.. تتأملها في هدوءٍ و ثباتٍ تام!

لم تتفوه ويندي بكلمة! فقط تراجعت بجسدها إلى الوراء، خائفة، أرادت في ذلك الوقت أن تكسر ذلك الخوف، وفقط تسأل:

"من أنتِ؟ " ولكن كان حلقها كالكهف جافًا تمامًا!

اقتربت الفتاة بهدوء، بتلك الخطوات المُنتظمة، حتى أصبحت في مقدمة سرير ويندي، تبتسم في هدوء، وتفتح فاها للحديث أخيرًا:

"ماتخافيش يا ويندي.. أنا مش مُرعبة أوي للدرجة دي!"

حاوت أن تُمسك أعصابها التي كادت أن تنفصل عن ذلك الجسد المُرتعش! كانت تنظر إلى تلك الفتاة في خوف، تريدها أن تُتابع الحديث لكي تطمئن، ولو قليلًا!

أضافت الفتاة في هدوء:

"قلتلك ماتخافيش...أنا مش هأذيكي، أنا هنا علشان أساعدك!"

عادت الشجاعة الضائعة إلى ويندي، فقط لتُجيب:

"تـــ.. تـــساعديني في...إيـــه؟"

ابتسمت الفتاة، وأجابت بذلك الصوت الهادئ:

"أولًا بس خلينا نتفق على حاجة... أنا لا عفريتة ولا جنِّية! أنا بني آدمة زيي زيك! "

لم تنبس ويندي بكلمة.

أضافت:

"أنا اسمي أوريتًا... تقريبًا في سنك... بس مُختلفين شوية!"

لم تُداوِ تلك الكلمات قلب ويندي الذي كاد أن يتحلل!

أضافت في هدوءٍ شديد:

"أنا قضيت حياتي كُلها، علشان بس أتعلم اللغة اللي بتتكلمي بيها..علشان أنا مُهمتي.. هي إنتِ وبس."

صمتت لبرهة، وأردفت:

"إنتي غلطتي لما سمعتي كلام فضولك، وطلعتي فوق، الدور السابع...وشوفتي الأقزام .. ماكنش ينفع تشوفيهم خالص!"

قالت ويندي بسرعة:

"بس أنا..."

قاطعتها:

" بس إنتِ مش بمزاجك!... علشان ماحدش فينا بيقدر يتحكم في فضوله المرضي.. غير ناس مُعينة، وأكيد إنتِ مش منهم!"

قالت ويندي في تردد:

"طيب أنا عارفة إني غلطت، إزاي أقدر أصلح غلطتي دي؟"

ضحكت الفتاة، وقالت:

"ومين قال إنك غلطتي؟ بالعكس... ده لمصلحتك."

"لمصلحتي؟...ازاي؟"

"هفهمك.. في أحداث حصلت زمان، ونتيجة الأحداث دي..." صمتت لبرهة، ثم قالت:

"ولّا بلاش دلوقتي."

كادت ويندي أن تبكي، قائلة:

"طيب إنتِ عاوزة مني إيه دلوقتي؟"

أجابت المُراهقة في هدوء:

"أنا مُكلفة بمُهمة مُحددة، لازم أنفذها بالحرف!وإلا مش هيبقى في صالحنا خالص إني ماسمعش كلامها."

صمتت لثوانٍ، تتأمل ذلك الوجه الشارد! ثم تابعت:

"مُهمتي هي.. إني أخدك معايا، وأحكيلك التاريخ!"

اندهشت ويندي، واتسعت عيناها، وقالت:

"تاخديني معاكي فين؟ وتاريخ إيه؟ أنا مش فاهمة أي حاجة!"

وقفت الفتاة،وبدأت تتجول في أركان تلك الغُرفة الصغيرة، قائلة:

"تاريخ عيلتك يا ويندي!"

أحمد

عبر من خلال تلك البوابة الخضراء، مُرتديًا تلك الحقيبة التي كادت أن تسقط منه بسبب ثقلها، اتجه إلى تلك الأشجار الفاصلة بين الساحتين، استند على تلك الشجرة في المُنتصف.. وسبح في أفكاره، لحظاتٍ وأتى أيمن، والذي بدا حزينًا لأمرٍ ما، اتجه نحو صديقه الحاضر الغائب، وألقى عليه حقيبته! اصطدمت الحقيبة الثقيلة برأسه المُفكر، انتفض في مكانه، وسرعان ما أدرك أنه أيمن.

فقال:

"أنت عبيط يا أيمن!"

جلس بجانبه، وقال:

"ماهو إنت حالتك بقت صعبة بصراحة! بقيت بتسرح كتير، وتفكر! هي عاملالك إيه بالظبط!؟"

نظر أمامه، وأجاب:

"مش عارف والله، بقيت بفكر فيها كل دقيقة!"

ضحك أيمن، وقال:

"والله إنت مجنون! يبني دي شكلها من الناس الكُبار، إنت مش شايف شكلها عامل ازاي؟! دي مش بني آدمة يا أحمد!!"

"ما هو علشان كده أنا مُعجب بيها!"

"وهي هتوافق عليك ؟!"

"ليه لأ؟ شكلي مش وحش يعني."

نظر أيمن له باستهزاء، وقال:

"بس مستواك المادي أكيد مش زي مُستواها."

صمت ولم يتفوه بكلمة! هذه هي الحقيقة المؤلمة، والتي يُحاول أن يقنع نفسه بأن الحب ليس بالمال، أو الشكل.. بل بالقلب، والروح.. ولكن.. نحن نعيش في ذلك المُجتمع الذي يتلخص في ثلاثة كلمات:

(مُعيق، يعوق، ومُعاق!) هذا إذا كان حُكم أيمن صحيحًا!

لاحظ أحمد تلك العلامات الحزينة التي على وجه أيمن.. فسأله: "مالك أنت كمان!"

أجاب:

"لا مفيش."

"طيب كويس."

قال في سُرعة:

"أنا وهاجر شدّينا مع بعض امبارح."

" ليه يا فالح؟"

أخذ شهيقًا ثم زفره، وقال:

"البنات دول دماغهم غريبة!"

ثم أضاف:

"امبارح نزلت (استيت) على الفيس، عادية يعني .. الكلام اللي بيبقي في (البيدجات) ده... أخذته (كوبي) و(بيست) .. لاقيت اللي اسمها نورا دي، أخت إسلام عملتلي لايك و كومنت!"

قاطعه أحمد:

"خلاص.. ماتكملش.. أنا كده فهمت!"

"حاولت أفهمها انها زي أختي ومش بكلمها كتير والله بس فضلت تقولي ايه اللي بينك و بينها! وكلام من ده!"

أجابه أحمد في ابتسامة:

"أقولك على حاجة؟"

"قول."

أجاب:

"البنت يا أيمن لما بتحب، بتحب بجد.. بتخلص في الحب ده أوي.. وهاجر بتحبك ومشاعرها كُلها ليك انت لوحدك! بص.. يعني لو شافت مُهند قدامها.. برده قلبها مش هيتهز وهيفضل ملك ليك إنت بس....حتى دائمًا أنا بشبهها بمثال.. قلب البنت عامل زي

المشمش، ليه بذرة واحدة بس.. جواها ولد واحد بس.. انما قلب الولد... ماشاء الله!...رُمّان يا أيمن.. رمّاااان!"

اعترضه أيمن:

"بس برده ما تتخانقش في الموبايل!"

أخذ نفسًا عميقًا، وقال: "معاها حق.. تخيل كده لو ولد عملها لايك على أي حاجة بتعملها على الفيس، سواء بقى كانت تعرفه أو متعرفوش... أخوها مش أخوها.. إيه رد فعلك؟"

وقف أيمن من مكانه وقال في غضب:

"ده أنا هطلع عين أبو اللي جاب بنت خالة أهلها!"

ابتسم في هدوء وقال:

"ماسمعش صوتك بقى!"

هاجر

" ابن الـــ..... والله لا أوريه!"

قالت وهي تركل تلك الكُرة في الشبكة! اقتربت رنا منها، وقالت:

"ماهو انتي اللي مدلعاه بقي الصراحة!"

"آه والله فعلًا!"

"وريلو العين الحمرا بقى!"

بعد أن قالت رنا تلك الجُملة سمعت ذلك الصوت يأتي من خلفها:

"ماتخليكي محضر خير أومال!"

قالت زهرة بتلك الابتسامة الغريبة التي لا تُفارقها!

التفتت هاجر إليها وقالت:

"يعني إنتي لو واحد عمل لايك للي بتحبيه هتسكتي؟"

أجابتها بتلك النظرة الشاردة:

"هو إنتِ فاكرة إنكوا هتكملوا مع بعض؟"

ثم ضحكت بسخرية شديدة! كأنها متأكدة من كلامها مائة بـــالمائة!

أضافت:

"شوفي يا هاجر يا حبيبتي، أنا هنصحك نصيحة حلوة.. إحنا في مرحلة مُراهقة، والواحد في السن ده بيكون ناقصه حاجات كتير، فبيدور على أي حاجة يسد بيها النقص ده..واهو..إنتِ ساده نقصك بيه وهو كذلك! لكن بعد ما تخلص المرحلة دي.. مش هتكوني عاوزة تُبصي في وشه تاني! و هتشوفي!"

اندهشت هاجر من ذلك الكلام الجاد! ثم قالت:

"ممكن يكون معاكي حق، بس أنا واثقة من نفسي إني بحبه، وإلا ماكونتش هبقى مضايقة أوي كده!"

اقتربت زهرة منها في هدوء، وربتت على كتفها في حنان، وهمست في أذنها:

"بكره لما تموتي، وتروحي عند اللي خلقك..ابقي قوليله الكلمتين دول.. وشوفي هيعمل فيكي إيه!"

ثم انسحبت في هدوء كعادتها، واختفت وسط الفتيات! لا تعلم لماذا شعرت بالخوف، والتعرق بسبب التوتر الذي نبت من العدم!

فلوهلة ظنت أن كلام تلك الفتاة صحيح، وأنها ستموت قريبًا! هل ستقول هذا الكلام للخالق؟

ظلت رنا تتأمل ذلك الوجه الذي ينطق خوفًا، اقتربت منها وقالت:

"هي قالتلك إيه؟ ومال وشك اتخطف كده ليه؟!"

إيفالين

أنهت تلك المُحاضرة الرتيبة كالعادة، وجوه شاردة تخرج من باب القاعة، ولكنها تضحك مع بعضها البعض، كم هو لطيف عندما تجد أصدقاء لك، يُشاركونك الابتسامة،والمُزاح،وتلك العاطفة المُتبادلة من حُب وحنان، من ذكرياتٍ قُضيت معًا،وحنين للعودة إلى الماضي، تلك المرحلة المُسماة بالمُراهقة! ما أجملها!

ولكن إيفالين كانت دائمًا تقول: إن أسوأ مرحلة مرت عليها هي تلك المرحلة، لأسبابٍ حدثت لها في السابق، لا تُفضل البوح بها الآن!

كانت تتأمل أولئك الشباب المُبتسمين، وهم يخرجون من تلك القاعة، ظلت تُفكر، لماذا لا يوجد لديها أصدقاء تُفرغ تلك المشاعر إليهم، تبكي بين أحضانهم، تقصُّ عليهم ما حدث لها من آلالم، ذكريات!

سرعان ما قررت الخروج، بعدما خرج الجميع، أمسكت بحقيبتها السوداء،وبدأت في نزول تلك السلالم بين المُدرجات،كادت أن تصل إلى الباب، لولا رنة ذلك الهاتف في جيبها، سحبته بسُرعة وأجابت في لهفة شديدة، عندما رأت ذلك الاسم التي تعشقه!

لم تُفكر كثيرًا، أجابت:

"ألو يا حبيبي!"

لماذا تعشقه؟ هل لوسامته؟ هل لطيبة قلبه؟ أم لاهتمامه بها في جميع الأوقات؟

كان بيتر لها الأب، والأم بعد وفاتها، والشقيق، والشقيقة، كذلك الحبيب المُخلص، الذي قطع ذلك الوعد، مرارًا وتكرارًا.. لن أتركك مهما حدث! سأظل أُحبك مهما طال الزمان، ولن تُحرك تلك الصورة التي رسمتها لك في خيالي!

وحتى الآن ظل صادقًا في وعوده هذه،وهذا هو السؤال المطروح، هل لعدم وجود أولئك الأصدقاء حوله؟ أم لوسامتها هي أيضًا؟ أم.. لأشياء حدثت في الماضي، جعلته يُقرر عدم رؤية الحياة، إلا بعينيها فقط!

لم يُجب تلك الاجابة المُنتظرة، بل أجاب بالأجمل!

"بقولك يا إيفا، أنا واقف مستنيكي في العربية برة، متتأخريش بقى!"

كادت هذه الكلمات كفيلة بأن تُقبِّل هاتفها بعدما أغلقت! كفيلة بأن ينطلق ذلك الهرمون المُسمى بالسعادة داخل أركان جسدها! شعور لا يوصف تشعر به الآن، بعدما كانت تجلس وحدها في صمت، تُراقب من بالقاعة في هدوء!

أسرعت خارج بوابة الكُلية، لتجده جالسًا داخل تلك السيارة السوداء،ينتظرها في هدوء،ابتسمت له في حنان، واقتربت منه، ولكن سَرعان ما تقدم هو بالسيارة، صائحًا:

"خليكي عندك، أنا جايلك!"

مُبتسمًا.

وبالفعل أصبحت السيارة أمامها مُباشرة تقف بجانبه، مُبتسمة، فسرعان ما قالت:

"بس إيه المُفاجأة الحلوة دي؟"

أجابها:

"أنا جايلك مخصوص علشان أقولك علي خبر حلو، بس الأول اركبي وهقعدك في مطعم عُمرك ما قعدتي فيه!"

كادت أن تصرخ فرحًا!ثم أسرعت لتركب بجانبه، في لهفة شديدة، وفي سرورٍ مُبالغ فيه! تحرك بالسيارة، حتى ذهب من أمام الكُلية، بعيدًا.. إلى ذلك العالم الخاص بهما، وحدهما فقط!

جلسا في مطعمٍ يطل على النيل، ذلك المنظر الساحر! الذي لا يشعر به إلا من كان بصحبة من يحب! سحر جميل يسود القلوب منذ نشأة البشرية،ولكن،ظروف الحياة ومشكلاتها،أفسدت تلك القلوب،

ليتبقى فقط ذلك السحر الراقد في مكانٍ ما داخل المشاعر، مُنتظرًا من يبحث عنه، ويُعيده إلى موطنه القديم، وهو القلب! الذي اذا نَجَحتَ في إعادته مرة أخرى، ستشعر أنك قد مَلَكت الدُنيا، وما فيها!

فقط ابحث بصدق، مُستغلًا تلك النعم التي أنعم الله بها عليك، لا تيأس إذا فشلت، حاول مرارًا وتكرارًا.. وتأكد، أنك لن تُفنى قبل أن تنجح!

كانت تنظر إلى تلك المراكب الجميلة،وهي تجري في المياه الراكدة منذ آلاف السنين! دائمًا ما كانت تتساءل، كيف تحمل تلك المياه هذا السحر والجمال،الذي يُريح القلب، رغم عدم وجود الموج الهائج كما في البحار والمُحيطات!

لماذا دائمًا نشكو إلى ذلك النهر، عن همومنا، وأحزاننا، وكأنه إنسان يسمع! ولكن هذه هي الحكمة، أن هذا النهر، ليس إنسانًا إذا سمع همومك شَمِت فيك! فالنهر فقط يسمع، ولا يُجيب، وهذا ما يريده مُعظم البشر،إنسانًا يستمع إليك، فقط! دون إجابة، أو نصائح!

التفتت إليه في حنان، وقالت:

"ايه المكان الرومانسي ده! يعني بجد، انت...ماحصلتش!"

سرعان ما أجابها بتلك الابتسامة:

"علشان تعرفي بس غلاوتك عندي، والله يا إيفا أنا نفسي أعمل حاجات كتير أوي، علشان بس أشوف ابتسامتك دي، اللي عندي بالدنيا كُلها!"

ابتسمت في خجلٍ شديد، وقالت:

"طيب إيه بقى الخبر الحلو اللي انت كنت عاوز تقولهولي؟"

استنشق ذلك النسيم الصافي الذي يقطن بجانب النهر، ثم قال: "بُصي يا سِتي، دلوقتي أنا كلمت بابا وماما في موضوعنا، وزي مانتي عارفة إنهم كانوا مش موافقين في الأول علشان إحنا قرايب والكلام الغريب اللي بيتقال عن جواز القرايب و كده."

ضحكت إيفا.. ثم تابع حديثه:

"بس مع إصراري وزنّي عليهم وافقوا أخيرًا..."

ثم صمت لبُرهة. كانت تستمع باهتمامٍ شديد، تراجعت بالكرسي إلى الوراء قليلًا، ثم قالت:

"آها..."

اصطنع ذلك الحُزن في وجهه، ثم قال:

"همّا كلموا باباكي امبارح بليل، وانتِ كُنتي نايمة تقريبًا."

اندهشت واتسعت عيناها، وقالت:

"إيه ده بجد! طيب وقال إيه؟"

ما زال مُصطنعًا الحُزن:

"بابا كلموا وقالوا على الموضوع.. بس..."

شعرت بالقلق، وقالت:

"بس..إيه؟ "

و كادت أن تذم على شفتيها، أجابها في سعادة:

"بس إيه يا إيفا!.. أكيد وافق طبعًا.. وهنيجي الخميس اللي جي ده على طول!"

قفزت إيفا من مكانها! صارخة:

"انت بتتلكم جدا! و لا بتهزر ."

ضحك في لهفة شديدة:

"وأنا من إمتى وأنا بهزر معاكي أصلًا!"

شعرت بدقات قلبها ترتفع في النبض، كل نبضة تحمل ذلك الشعور الجميل، وهو السعادة الحقيقية! لم تُبالِ بنظرة الناس لهما، فقط تركت مشاعرها تقودها، وصرخت:

"بحبك يا بيتر! بحبك!"

ويندي

كانت الشابة السمراء،ذات التاسعة والعشرين من عُمرها، جالسة على مكتبها كعادهًا، مُمسكة بذلك القلم، ومُنهمكة في الكتابة!

كان وجهها حزينًا بعض الشيء، وعيناها مُنتبهتين إلى ما يخطه قلمها، من تلك الرواية الشيقة! التي ظلت أربع سنوات تُفكر، هل تقصُّ ما حدث أم لا؟ سرعان ما اتخذت قرارها، وهي تأليف تلك الرواية،والمُكونة من سبعة أجزاء مُتصلة، فبدأت بذلك الكتاب، المُسمى بـــ (محيط من الذكريات) والذي تحوي صفحاته تلك الذكريات المُختزنة داخل غياهب عقلها! لم تُنسَ بعد، من قبل الشَّابة، التي عانت كثيرًا لتصل إلى ذلك الكُرسي، وتكتب تلك الرواية في سلام!

رشفت من ذلك الكوب المُمتلئ بالماء بجانبها، ثم أخذت نفسًا عميقًا، وتراجعت بالكُرسي قليلًا.

إنها هي! نعم.. لم تتغير ملامحها،ذات الشعر الأسود الطويل، والعينين الذهبيتين الخالصتين، تلك البشرة السمراء التي تحمل جمالها الربَّاني! ولكن شيئًا ما قد تغير في طيّاتها، شيئًا يجمع بين الصلابة، والحنان! السعادة، والحُزن الذي نطق به وجهها! كادت أن تُحرك تلك العجلات التي تجُر ذلك الكُرسي المُتحرك! الذي كانت جالسة عليه مشلولة! ولكن سرعان ما طُرق باب غُرفتها، بهدوء، قالت:

"أُدخل."

فُتح الباب، ودخل ذلك الرجل الثلاثيني، يحمل في يديه حقيبة العمل، مُبتسمًا إلى زوجته الحبيبة! عبر من خلال الباب الخشبي، وقال في هدوء:

"مساء الخير يا حبيبتي."

أجابت في ذلك الحنان، الذي يُشبه حنان شقيقتها إيفالين!:

"مساء النور يا حبيبي."

وابتسمت.

اقترب منها بهدوء، وقبلها بحنانٍ شديد! ليس لأنها مريضة فقط، أو.. لأنها لا تستطيع التحرك بقدميها، بل لأنها زوجته التي أحبها طيلة حياته! وضع تلك الحقيبة على السرير المُرتب، وسحب ذلك الكُرسي الخشبي، وجلس أمام زوجته قال في هدوء:

"ها.. احكيلي.. عامله إيه بقى؟"

ابتسمت ويندي في خجل، وأجابت:

"تمام يا حبيبي، كويسة..قوللي انت عملت إيه النهاردة في الشُغل؟"

"عادي زي كل يوم."

ثم أضاف:

"إنتِ عملتي إيه النهاردة؟"

أجابت:

"مابعملش حاجة غير إني أكتب وبس...دي الحاجة الوحيدة اللي أقدر أعملها."

اقترب منها في حنان، وربت على قدميها، وقال:

"وايه أخبار الرواية؟على فكرة أنا امبارح بالليل وانتِ نايمة قريت منها شوية."

"أنا خلصت 10 % منها بس.. عجبك أُسلوبي؟"

تراجع بكُرسيه، وقال:

"بصراحة تُحفة! بس تفتكري الناس هتهتم بأنها تعرف اللي حصل؟"

أجابت:

"وليه لأ؟ اللي حصل لازم يتعرف.. وأنا واثقة ان الناس هتحبوا جدا.. لأنها في النهاية رواية خيالية.. الناس هتقرأها بهدف التسلية، ماحدش هيعرف إنها حقيقية!"

قاطع:

"وإلا ماحدش هيشتريها أصلا! إنتي عارفة ان مُعظم الناس جبانة رغم فضولها!"

"معاك حق!"

تابع حديثه:

"بس فيه حاجة لفتت انتباهي."

"إيه هي؟"

أكمل:

"انتِ مدخّلة زمنين في بعض! يعني..اللي فهمتوا إن جزيرة مولاريا دي.. أحداثها بتدور زمان!"

قاطعته:

"في القرن الـــ 19"

"آها... وفي نفس الوقت... أحداث 2014.. والأحداث اللي حصلت وقتها، وبسّام اللي بيغتصب البنات، دي انتِ كنتي حاكيالي عليها فـــعارفها..ونفس الكلام بالنسبة لزهرة، بس في نفس الوقت.. لفت انتباهي حاجتين."

قالت بالنيابة عنه ضاحكة:

"عارفه عارفه.. أميرة."

"آها.. أنا مش فاهم أي حاجة بصراحة!"

قال ضاحكًا! ابتسمت، وأجابت:

"أميرة دي مش هتفهم قصتها دلوقتي.. لسه بدري علشان تعرف ليه بيحصل لها كل ده!"

سيلين

كان الناس في حالة من الهلع، يركضون هنا وهناك، فالأسرة الحاكمة قررت أن تُبيد ما تبقى من آل فايلز، حتى يستطيعوا تحقيق ما تمنوا طيلة السنوات السابقة!

امتلأت العاصمة ميريز بجنود جيش فرايجز، الذين يقودون تلك الخيول،مُمسكين بتلك السيوف الفولاذية الحادة،ويذبحون من يعترض طريقهم من آل فايلز، بوحشية وقسوة! مُقتحمين جميع المنازل التي عُرفت أنها تابعة لأولئك القوم، لم يُعتق أحدا.فكانت الأسرة تتكون من الوالدين، وطفل أو طفلة فقط! يُقاوم الوالد في البداية، فيتم ذبحه أولًا! ويخترق ذلك النصل الحاد عُنقه بقوة، ويُلقىَ جثة هامدة على الأرض!

نوبات الصُّراخ لا تتوقف من قبل الوالدة التي تحتضن طفلها بين ذراعيها خوفًا عليه! ولكن، سَرعان ما يتم تعذيب تلك الوالدة، بذبح

طفلها أمامها! ويُلقى على الأرض غارقًا في دمائه التي تسيل من عُنقه كالفيضان، والوالدة المسكينة تصرخ بكل ما أوتيت من قوة!

"طفلي الحبيب! طفلي الحبيب!"

وسرعان ما يُفعل بالوالدة كما حدث مع باقي أفراد العائلة! ثم يُحرق المترل بأكمله! ويفرون هاربين!

كانت السيوف تخترق الأعناق، وتترع الأحشاء جميعها، وتخترق شبكات الأعين في قوة! ليلة دامية مرت علي من يسكن العاصمة من آل فايلز، حيث لم ينجُ أحد من بطش ذلك الملك المجنون! الذي قتل ملكهم بواسطة شقيقته مايسي! واستولى على ذلك العرش الذهبي، بعدما قتل كل ما اعترضه داخل القصر!

أسرعت سيلين إلى تلك المزرعة البسيطة، دفعت ذلك الباب الخشبي بقوة،واتجهت نحو ذلك المترل المُستوطن بين الحشائش والأشجار، دخلت المترل، ووجدت والدها ممسكة بتلك القلادة الكريستالية، و تبكي! صرخت سيلي:

"هيا بنا نهرب يا أمي! انهم قادمون!"

لم تجب، فقط تابعت البُكاء، واتجهت نحو نيران المدفأة، وارتفعت يداها إلى أعلى، ممسكة بتلك القلادة، التي تأخذ شكل فراشة كريستالية! وتردد تلك الكلمات الغريبة، التي أثارت فضول سيلين!

كانت نبرة صوتها تزداد في العلو تدريجيًا، والنار تزداد في الاشتعال أكثرًا فأكثر! وما زالت تُردد تلك الكلمات غير المفهومة،

"فلتُباركيها يا فينيسا...فلتُباركيها يا فينيسا!"

"أمي، ماذا تفعلين؟"

همست سيلي، في حذرٍ وخوف، التفتت إليها، وأسرعت نحوها راكضة، عانقتها بشدة، فهذا هو عناق الوداع! كادت سيلي أن تختنق تحت أحضان والدها، التي قالت أخيرًا بعدما أمسكت بكَتِف المُراهقة في حنان:

"عزيزتي سيلي، أرجوكِ، ارتدي تلك القلادة، لا تفقديها ما دُمتي حية!"

قالت سيلي في غضب:

"أنا لا أفهم شيئًا يا أمي! هيا بنا نذهب من هنا بسرعة.. فقوم فرا..."

قاطعتها:

"استمعي لي يا سيلي، لن تفهمي أي شيء الآن، فقط ارتديها أرجوكِ، واذهبي بعيدًا عن تلك الجزيرة، اذهبي إلى فرنسا حيث يسكن آل شتروخ، واذهبي إلى شقيقتك! واعثرا معًا على صانعة الفراشات!"

اتسعت عينا ذات الرداء الأصفر، وهمست:

"ماذا؟ ألديَّ شقيقة؟ و..مـــ..من تكون.. صانعة الفراشات؟"

قالت بانكسار:

"نعم، شقيقتك في مكان ما الآن في فرنسا، اذهبي إلى هناك وجِدِيها، واذهبا إلى الصانعة.. أرجوكِ افعلي ما أقول يا ابنة أُختي!"

ما الذي يحدث؟ هذا ما دار داخل عقل المُراهقة، حيث فتحت فاها في ذهولٍ، وصدمة! عُقد لسانها، ولم تستطع أن تقول سوي:

"أمي؟..أ..أ..تمــ..زحين؟"

قطعهما دخول ذلك الرجل، المُزارع..كان ضخمًا بما يكفي لحمل تلك المُراهقة، والذهاب بعيدًا كما أمرت والدتها!

التفتت سيلي له، وقالت:

"إنهم في الخارج يا هيرلي، أليس كذلك؟"

أجاب بسرعة:

"نعم، إنهم في الخارج، يذبحون كل من في المنازل، ويحرقوها."

هنا أسرعوا جميعًا إلى خارج المنزل، يتأملون ما يحدث في قريتهم، التي كانت جنة الله في أرضه الواسعة!حيث الصَّبَا يخترق تلك الأشجار، فتهتز أوراقها في سعادة، والشمس الساطعة فوق التلال المكسوة بتلك الحشائش! التي تأكل منها أبقار الملّيري المُحتكرة من قبل الجزيرة! الآن، النار تأكل في المزارع، والمنازل، والأشجار!

تستطيع سيلي أن تسمع صرخات أولئك الناس من حولها وهم يُذبحون! واحدًا تلو الآخر، تخترق السيوف أعناقهم وأحشاءهم بوحشية شديدة! و يُتركون داخل المنزل المُحترق!

أعادت الوالدة ما قالته من جدبد في سرعة:

" أرجوكِ يا عزيزتي، ارتدي تلك القلادة، واذهبي إلى شقيقتك، واعثرا على صانعة الفراشات!"

هنا أشارت لهيرلي بأن يحمل سيلي بالقوة!

فعل ما أُمر به، وحمل سيلي بسرعة، قاومته بشدة! وصرخت:

"اتركني! اتركني يا هيرلي! أُؤمريه يا أمي أن يتركني!"

ابتسمت في حنان، وقالت:

"سيفعل، عندما يذهب بك إلى الشاطئ، ويتأكد من ركوبك تلك السفينة المنتظرة قدومك."

"وأنتي؟ ستأتين معي؟ أليس كذلك؟"

أدمعت بشدة، وهمست:

"لا أستطيع، فأنت من يجب عليد الهرب، ولكي تُحقق النصر في المُستقبل،ونستعيد أرضنا من جديد،يجب أن تهربي..وتجدي شقيقتك.. ولا تغفلي عن صانعة الفراشات!"

أشارت إلى هيرلي بالهرب، بسرعة، عندما رأت تلك الخيول التي تحمل الأعداء تتجه نحو المزرعة! هنا ركض هيرلي بأقصي سُرعته، حاملًا لذلك الفُستان الأصفر المُتطاير! والذي يصرخ هو الآخر مع سيلين!:

"أمي! أمي!"

ابتسمت في حنان، وسالت دموعها في تلقائية، وما زالت تسمع صراخ المُراهقة، التي لم تستوعب حتى الآن ما يحدث!

التفتت الوالدة إلى صوت اختراق باب المزرعة، وتلك الخيول التي تركض فوق الحشائش، وأولئك المُحاربون المُمسكون بسيوفهم، يركضون مُتجهين نحو الوالدة المُبتسمة في صمت!

صرخت سيلي، حتى كادت أن تُقطع أحبالها الصوتية، وهي تُشاهد، من فوق كَتف ذلك الراكض بسرعة، اختراق تلك السيوف لعُنق وأحشاء خالتها، التي ما زالت تبتسم، تلك الابتسامة، التي تحمل في طيّاتها، ذلك الشيء المُسمى بـــ (الأمل).

إسلام

كان جالسًا على تلك الأريكة داخل غُرفته، كعادته، ممسكًا بذلك الهاتف الذكي، ينظر إلى تلك الرسائل القديمة داخل الـ (Inbox) بشرود! و كان عقله لا يتوقف عن التفكير.

***

قالوا عن الندم:

إنه شعور ورد فعل شعوري لتصرفات وأفعال الماضي الشخصي للفرد، وغالبًا يشعر به الإنسان عند شعوره بالحزن، والعار، والخجل، والإحباط، والانزعاج، أو الشعور بالذنب بعد قيامه بتصرف أو عدة تصرفات تجعل الإنسان يتمنى أنه لم يفعلها.

وهذا ما أُعانيه، الندم علي تلك الأشياء الغبية التي فعلتها بالماضي، لأنه.. ماذا لو لم أفعلها؟ هل كان سيصبح حالي كما هو الآن؟ أنا غبي!.. وضعيف، وقذر! أنا لا أستحق تلك النعمة التي وهبني ربي إياها، ذلك العقل الذي لم أفكر في كيفية استعماله!

اتَّبعت قلبي، وخطوت وراءه كأنني مسلوب الإرادة! كان لدي تلك الفُرصة التي لا أعلم كيف أضعتها! كيف؟ حقًّا عارٌ علي!

***

قطع تفكيره رؤية تلك الرسائل التي دارت بينه وبين ويندي، فبدأت عيناه تفيضان من الدمع من تلقاءِ نفسهما! لا يعلم لماذا؟ أو يعلم!

ظل يقرأ، ويقرأ، ويحكم قبضته على الهاتف الذي كاد أن يُكسر! فسَرعان ما صرخ بأعلي صوته:

"أنااااا غبيييي!"

وألقى هاتفه على الأريكة بجانبه في قوة! وانهمك في البكاء كالأطفال! مرت دقائق، وقد اتخذ ذلك القرار الذي لطالما أراد أخذه، شيئًا ما كان يمنعه،ولكن..قد اتخذه! أمسك بهاتفه من جديد، وسرعان ما أرسل تلك الرسالة إلى المُراهقة السمراء!

"إزيك يا ويندي؟ إيه أخبارك؟يارب تكوني في أحسن حال.. ممكن أتكلم معاكي شوية؟"

وانتظر، حتى تُجيب..لحظاتٍ ولمح ذلك الشيء المُتسبب في نصف مشاكل المُجتمع!

(Seen Mon 11:31am)

شعر بدقات قلبه السريعة تُريد اختراق صدره! مُنتظرًا إجابتها، التي طالت! أرسل رسالة جديدة:

"أنا عارف انك مش عاوز تتكلمي معايا.. بس فعلًا أنا تعبان يا ويندي ومحتاج أتكلم معاكي... مش هتخسري حاجة لما تسمعيني علي الأقل."

لحظاتٍ قصيرة، و...

(Seen Mon 11:42am)

تحسس قلبه الذي كاد أن يقتلع من بين ضلوعه! ثم رفع كلتا يديه إلى السماء، داعيًا ربه:

"يارب ترد عليا.. يارب ترد عليا."

لم ينتظر طويلًا حتى إجابة الدعوة.. فقد أمسك بهاتفه من جديد، و..نعم... أجابت عليه! تعرقت مسامه، وأصبح كَمَن يجلس في أشعة الشمس الحارقة في الطُرقات!وقرأ الرسالة المُرسلة من حبيبته.. ويندي:

"أديني سامعه."

ابتسم في حنانٍ لا يعلم لماذا ما زال مستوطنًا قلبه رغم ما تفعله به تلك الفتاة السمراء! ولكنه دائمًا ما كان يقول لنفسه:

"الصبر مُفتاح الفرج!"

ويندي

قال زوجها في غضب:

"ثانية واحدة بس، أفهم من كده ان عدم حُبك لإسلام كان على حاجات حصلت زمان بينكوا!والدليل إنك كاتبه إنه كان ندمان على حاجات حصلت زمان! وإنه كان غبي! نعم يعني؟"

أجابت ويندي في هدوءٍ شديد:

"إهدا بس.. أنا فعلًا كان عندي المبدأ ده... وإنت أكتر واحد كُنت عارف ده كويس.. بس، هقولك على حاجة.. مهما كُنت قوي الإرادة، مهما كُنت مُقتنع بقراراتك، لازم هتقع في الحب!..بص، ما هو ماتقنعنيش إنك عُمرك ما تراجعت عن قرار ليك في ظروف مُعينة حصلتلك!"

قاطعها:

"طيب وإيه اللي حصل بينكوا خلاكي تتراجعلي عن قرارك؟ وبعد كده خلاكي تتمسكي بيه من تاني؟ "

أجابت بابتسامة: "أنا مانكرش إني حبيته، وأوي كمان! بس، هو اللي كان فعلًا غبي! معرفش يتصرف صح، وبالتالي، غِلط."

ضحك في جنون! وقال:

"ويندي! أنا مش فاهم أي حاجة على فكرة! غبي في إيه وغِلط إيه و.. هو فيه إيه؟"

ضحكت هي الآخرى، وقالت:

"هتفهم كل حاجة في وقتها يا حبيبي.. ما تستعجلش، زي ما قولتلك، أنا ما كتبتش غير 10 % بس من الرواية، يعني لسه بدري!"

ضحك قائلًا:

"يارب نفهم بقى!"

ثم تابع حديثه:

"طيب تمام لحد كده... بالنسبة للفصل اللي بعده.. بصراحة أنا اتأثرت بيه أوي.. وعلى قد كُرهي لإسلام بس والله كنت هعيط!"

ابتسمت تلك الابتسامة التي تحمل تلك الدموع التي كادت أن تسقط على وجنتيها:

"أصعب لحظة مرت عليّا بجد! يعني شوف أنا حصلي حاجات كتير، وشوفت حاجات ماحدش شافها، وسافرت عبر الزمن، ويعني حاجات ماتتصدقش! بس فعلًا.. اللحظة دي كانت الأصعب في حياتي، أنا معرفش ازاي قدرت استحملها!"

ويندي

كان وجهها غاضبًا، جالسة على سريرها تُحدق في هاتفها كالمجنونة! فبعد ذلك الشجار الذي دار بينها وبين إسلام.. لم تعُد تحتمل! ألقت بهاتفها بعيدًا، وهي تقول:

"ينكد عليك زي ما نكدت عليا!"

ثم أخذت نفسًا عميقًا حاولت به تهدئة نفسها، ثم زفرته ببطء.. طُرق باب غُرفتها، تلك الأصابع التي تعرف تابعة لمن، إنه والدها.. هتفت:

"أُدخل!"

فتح والدها باب الغُرفة، مُبتسمًا لابنته العزيزة، ثم دخل ببطء، قائلًا:

"ممكن أتكلم معاكي شوية؟"

حاولت أن ترفض، فهي ما زالت تكرهه منذ زواجه الغريب بعد وفاة والدها،ولكنه في نهاية الأمر، يظل والدها.. فلم تجد طريقًا مُناسبًا للهرب.. فقد خضعت للأمر الواقع، وأومأت برأسها بنعم.. تفضل!

جلس بجانبها على السرير، وقال:

"أهل بيتر هيِّجوا الخميس اللي جاي ده علاطول.. ها.. فرحانة لأُختك؟"

أجابت:

"أكيد طبعًا.. هيبقى أسعد يوم في حياتي!"

ظل مُتأملًا إياها للحظات، مما دفع المُراهقة لقول:

"هو فيه إيه يا بابا؟"

لم يجب، ظلّ محدقًا في عينيها الذهبيتين مُتأثرًا، ثم قال في هدوء:

"عينيكي زيها يا ويندي."

وكاد أن يبكي! أسرعت ويندي بالرد:

"ومادام عينيا زيها، اتجوزت عليها ليه يا بابا بعد ما ماتت؟"

ذرفت عيناه بالدموع، وأجاب:

"أنا كنت مُجبر على كده! صدقّيني، أنا ماكنتش عاوز أتجوز بعد والدتك، بس ..."

"بس إيه يا بابا؟"

تساءلت.

أجاب بتلك النظرة الحزينة:

"اسمعيني كويس يا بنتي، يمكن اللي هقولهولك ده هيكون صعب عليكي.. بس، لازم تعرفي."

زادها قلقًا، فقالت:

"أ..أعرف إيه يا بابا؟؟"

أكمل في هدوء:

"الموضوع اللي هحكيهولك ده، عدّى سنين كتير أوي، مش فاكر تحديدًا كام!"

أميرة

يظن البعض أننا نعيش في عالم مليء بتلك الكائنات الغريبة، التي تتجول حولنا، ويظن البعض الآخر انها مُجرد خُرافات وأساطير ابتدعها القدماء في قصصهم، وقليل من الناس يظنون أن الله تعالى قد ابتلى أُمة مُحمد بعدة ابتلاءات ليختبر صبرهم، كالمس!

أسرعت أسرة أميرة إلى منزل ذلك الشيخ، كثيف اللحية، يرتدي جلبابًا طويلًا، ويجلس في هدوء مُنتظر من يأتي له بحالات المَس!

كان جالسًا على الأرض، أمامه بعض البخور غريبة الرائحة، وقرآن، وزجاجات من ماء الورد!

كانت أميرة في حالة لا تُحسد عليها، غائبة عن الوعي تمامًا، ولكنها كانت تسير بجانب أبويها وصديقتها المُخلصة، لا ترى شيئًا سوى أنها ما زالت داخل ذلك القصر، تتبع تلك الفتاة ذات الرداء الأحمر!

جلسوا جميعًا أمام الشيخ،الذي بدا واثقًا بنفسه كمن ظنّ لوهلة أنه يسيطر على كل شيء، ولكن سرعان ما تسلل ذلك الشعور بالخوف داخله. لا يعلم لماذا؟ فقط شعور جعله ينتفض في مكانه كالمجنون!

بدأ والد أميرة بالحديث:

"أميرة يا مولانا، اللي حكيتلك عليها."

أضافت والدها:

"أرجوك يا مولانا، دي بنتي الوحيدة.. أرجوك، طلع الجن اللي عليها ورجعهلنا تاني!"

ثم انهارت في البُكاء، نظر الشيخ إليهما، وقال:

"أنا هتصرف، ماتخافوش، إن شاء الله كل حاجة هتبقى كويسة!"

أشار الشيخ بتركه مُنفردًا مع تلك المُراهقة، التي كانت تنظر له في هدوءٍ شديد، مُحدقة في تلك اللحية البيضاء، تتساءل:

"أهي حقيقية أم مُستعارة؟"

خرج الجميع من تلك الغُرفة شبه المُظلمة، مليئة برائحة تلك البخور الغريبة، مجهولة المصدر! وأخيرًا، انفرد معها، وبدأ بالحديث، قائلًا:

"هتفضلي بصّالي كده كتير؟"

وسرعان ما رأى تلك الشفتين تُفتحان، ويخرج ذلك الصوت الرقيق:

"وحضرتك ناوي تطوّل، ولا انت ايه نظامك؟"

تعجب الشيخ، واتسعت عيناه خوفًا، ثم قال:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين!"

قاطعته بتلك النظرة الشاردة:

"بقولك إيه، وفر بقى الشوية اللي انت بتعملهم دول.. مش بياكلوا معانا!"

ازداد خوف الشيخ،وقال:"هو إيه اللي....مش بياكلوا معاكي؟؟"

"زي ما سمعت، لو قريت القرآن كله... مش هيجيب نتيجة اسمع منّي.. هو مش مُهتم..ولا هيهتم!"

لم يُبالِ الشيخ، وبدأ في قراءة آيات من سورة البقرة، داعيًا الله أن ينصره على ذلك الكائن الذي أمامه!

ولكن.. لاقى ردًّا غريبًا أصابه بالذُعر!

"صدقني يا إبراهيم، انت بتتعب نفسك..لأن ربك اللي انت بتستعين بيه ده.. هو اللي خلّانا ناخود أميرة!"

ارتجف الشيخ، وكفَّ عن قراءة القرءان، وقال في خوف:

"انتوا...مين؟"

نظرت إليه بغضب، وقالت:

"مش مسموح إننا نقولك، بس مسير ربنا هيقولك..لما تقابلو بعد شوية!"

لم يهتم الشيخ، وبدأ في ترتيل آيات من القرآن الكريم، والاستنجاد برب العالمين لكي يُنقذ تلك المُراهقة المسكينة! ولكن.. ضحكت أميرة ضحكة رجَّت المكان! وتبدّلت عيناها حتى احمرّت كالدماء! حين دندنت بهذه الكلمات، والتي جعلت الشيخ يثب في مكانه هلعًا، ذاك الشيخ الشّقِي! يظن أنه ذكي! مُستعينًا بإله ليس بإلهنا، وكِتاب ليس بِكتابنا، ظنًّا أنه سيردعنا نحن.. المجتمع الخفي!

إسلام

كان يجلس على تلك الأريكة، التي تُذكّره بكل ما حدث من آلام و مآسٍ! فلقد اتخذ ذلك الطريق الآخر، وهو جالس على نفسِ الأريكة! وأيضًا لن ينسى، أول رسالة تم إرسالها إلى السماء كانت أيضًا وهو جالس عليها! كان مُحمر الوجه، يتأمل أركان الغُرفة بتلك العينين الشاردتين، حَلقهُ كان جافًا كالصحراء، تائهًا بلا ماء! ينتظر من يأتي له بالنجاة، ولكن، أية نجاة يُريدها؟ على كل امرئ أن يتحمل نتيجة أفعاله واختياراته، وضعفه!

دخلت عليه شقيقته التوأم، نورا.. التي ما زالت تعيش في ذلك العالم الوهمي، المُسمى بالحب في فترة المُراهقة!. فكانت على يقينٍ تام، أن من يُحبها، بالتأكيد سيظل معها بقية حياته.. مسكينة!

نظرت إليه في شفقة، وهتفت:

"إسلام!"

لم تتحرك عيناه نحوها، ولم يفتح فاه للإجابة، ظل مُنتظرًا قدوم ملك الموت، ليقبض روحه، ويرتاح من تلك الحياة البائسة التي يعيشها!

لا أعلم لماذا كل هذا الألم؟ فهو ما زال مُراهقًا، والحياة ما زالت مُستمرة، ولكن.. لا أحد يفهم أن تلك الأحزان التي تُسيطر علينا في هذه المرحلة، لا تعترف بالأمل!

جلست بجانبه، ثم رتبت على كتفه الهزيل، وقالت: " فكها يا إسلام، سيبك منها.. والله يبني ما تستاهل زعلك ده!"

التفت إليها، ونظر إليها في غضب:

"لا يا نورا.. تستاهل!"

"تستاهل إزاي وهي عاملة فيك كده!"

تسللت تلك الدمعة من عينيه، وقال بصوتٍ مُنكسر:

"ما.. هو أنا السبب!"

ثم صرخ:

"أنا غبي!"

لا تعلم ماذا تقول؛ لأنها على علمٍ تام، أنه على حق! كانت أمامه تلك الفُرصة التي لا تعوض، لا تأتِ سوى مرة واحدة فقط! ظلت تواسيه كالطفل، وتُحاول أن تُداعبه، ولكن.. لا حياة لمن تُنادي.

لم يستطع أن ينام في تلك الليلة، التي مرّت عليه كشهر، ظل مُستلقيًا على سريره، مُمسكًا بهاتفه الذكي، ويُقلب بين المواقع المُختلفة في رتابة!

وبينما هو مُنهمك في تلك المواقع، سمع أخيرًا صوت النجاة، الذي انتزع قلبه، ليُطهِّره، من تلك الأحزان الفانية، وذلك الشعور بالندم الذي أصبح مُلازمًا له طيلة حياته! إنه صوت آذان الفجر!

ردد وراء المؤذن، مُستغفرًا ربه، وشاكيًا إليه.. لأنه الملاذ الوحيد له الآن! ألقى باهتفه وذهب للوضوء، تلك المياه المُثلجة، التى تحمل في طيَّاتها الطهارة للجسد، والروح! فَرَشَ تلك المُصلية أمامه، وبدأ في الصلاة، كان يبكي أثناء قراءته للقرآن، لا يعلم لماذا؟ ولكنه بالتأكيد يعلم كم هو بعيد عن ربه، وقريب من هموم الدنيا!

كيف له أن يتقرب من تلك الأحزان،وينسى خالق تلك الأحزان؟ فالذي بيديه طبعها على قلبه، بإمكانه أن يطبع على قلبه الإيمان، والهداية.. والسعادة!

إنها تأتي فقط بدعوة، ندعوها بقلوبنا، ليس بألسنتنا، تهطل الدموع من أعيُننا كالمطر، ونحن نُردد:يا حي يا قيوم..برحمتك أستغيث، أصلح لى شأنى كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين!يا ربي..أنت تعلم ما بقلبي فاستجب لي، وخاصة وأنت تعلم أنه لم يكن بيدي ما حدث! فأنا لا أعلم من أين أتت!

شعر بذلك الشعور المُسمى بالراحة النفسية، كاد أن يفقده، ولكنها رسالة واضحة من ربه، شعر بها هو فقط! لا ليس الطريق للهدايا بل ذلك الشعور الذي يقول لك: "ها قد أتت اللحظة التي ستتحقق فيها أُمنيتك، وتُقابل خالقك!"

تابع سهره، فهو ما زال مُتمسكًا بتلك الفتاة، إنه حقًا يُريدها، ظل يتأمل صورها حتى شروق الشمس،يشدو بما قد كتبه في مُذكراته عن تلك الفتاة الغيداء الثاوية في أعماق قلبه:

ها قد أقبلت فتاتي الفاتنة،

والتقت بصديقاتها باسمة،

ثم بادلتني النظرات بعينينِ واهنتين،

عينينِ لا تعرفان الكذب ولا النفاق،

ولكنها تائهة!

تُعاني ألمًا لم أدرِكَهُ بعد،

ويا ليتني أُدرِكَه!

حتى يُشاركها قلبي أحزانها، ولكن...

وثب قلبي هَلَعًا عندما رأيتُها

بغتةً عند الباب ذاهبة!

ولم العجلة يا فتاتي الفاتنة؟

شيَّعَت صديقاتها بعدما

كانت لأيديهن مصافحة!

و نَظَرَت إلي عيني بغتة

تقول لي: إنها هاربة!

من قلبي الذي ودَّ عِناق صدرِها.

ثاويًا حتى يوقف نَبضَهُ

بجانب قلبها!

بَتَرَ غناؤه ذلك الصوت الذي تسلل بغتةَ إلى غياهب أذنه، إنه صوت نهنة طفلة قادم من الحمام! ارتجف قلبه، وتطلع إلى خارج الغرفة في هدوء، خطى قدمًا وأخَّر أخرى، وما زالت النهنة لا تفارق أذنه! سمَّى باسم ربه في سره، عندما اقترب من الحمام المغلق بابه، قبض على المقبض بيدين مثلجتين، وكما يحدث في جميع قصص وأفلام الرعب! لم يجد شيئًا عندما فتح الباب بقوة! السكون هو سيد الموقف.وكما يحدث أيضا في جميع قصص و أفلام الرعب! عندما تلفت بغتة، وجده يقف خلفه، غاضبًا، في هدوءٍ وثبات!

ويندي

كانت جالسة على دكّتها، مُتأملة في تلك الفتاة الغريبة! التي أصبحت تعلم كل شيء عنها، تقريبًا، حسب ما قاله والدها!

تُفكر فيما يجب فعله، فقد علمت ذلك السر الذي يجعلها تُريد أن تبكي! ولكنها مُسيطرة على مشاعرها، حتى الآن! عندما ضُرب جرس الطابق، خرجت المُعلمة في هدوء، بينما جلست زهرة بجانب ويندي، رغمًا عنها! التفت ويندي إليها، وقالت:

"انت إيه اللي قعدك جنبي؟"

أجابتها بتلك النظرة الغريبة، التي لم تستطع ويندي أن تُفسرها:

باباكي قالك على كل حاجة مش كده؟"

فزعت ويندي من مكانها، وصاحت:

"إنت عاوزه ايه مني!"

نظرت إليها في هدوءٍ تام، وقالت:

"زعقي براحتك، ماحدش سامعنا من الفصل."

وبالفعل، نظرت إلى كل من في الفصل، الجميع مُنهمك في الحديث، والغناء، والرقص!

التفتت إليها مُجددًا، وقالت:

"أيو قالّي، ويا ريته ما قالي!"

"تعرفي يا ويندي إنك محظوظة!"

"في إيه بقى؟"

أجابت بعد وهلة:

"هتعرفي أكبر سِر ودَعَه ربنا في الكون ده كله!"

صاحت و يندي:

"وإنتِ ايه علاقتك بكل ده نفسي أفهم!"

زفرت، ثم أجابت:

"أنا زيك يا ويندي، بقدر أشوفهم، واسمعهم، وعلشان أكون صادقة معاكي، أنا في حاجات كتير معرفهاش، ويعني مثلًا أنا لحد دلوقتي مش فاهمة مين الست دي!..بس عارفة مين بنتها، و ..."

ثم صمتت.

"وإيه؟"

سَرَحت لوهلة، ثم قالت:

"ما علينا، دلوقتي انتي قدامك مُهمة، ولازم تنجحي فيها، لإن ماينفعش الفشل يا ويندي! لإن لو ده حصل..."

صمتت برهة، كأنها تذكَرت شيئًا، ثم همست لنفسها:

"ما كده كده الحرب جاية!"

كادت أن تبكي، ثم تماسكت مُجددًا، وقالت:

"أنا بس مش فاهمة، اشمعني أنا؟"

همست في أذنها:

"علشان إنتِ..."

أسرعت ويندي قائلة:

"أنا ليه؟!"

ولكن للأسف، لم تُجب! حيث انسحبت في هدوء كالعادة! دار عقل المُراهقة كالدوامة! أهذا واقع أم كالعادة هي تحلم وستستيقظ الآن؟

انتهي اليوم الدراسي،جمعت ويندي أغراضها في غضب، وخرجت من المدرسة بأكلمها، دون أن تُسلم على صديقتاها حتى!

اتجهت إلى شارع السبت، الذي يعد وسيلتها الوحيدة للوصول إلى منزلها، كانت تسير بسرعة، في غضب شديد! فهي ما زالت لا تُصدق! وإذا صدقت لوهلة، لا تريد أن تكون جُزءًا من تلك المُهمة الغريبة التي ستُجبر على القيام بها!

استوقفها إسلام.. ذلك المُراهق، كان قلبه مُشتعلًا ويريد أن يهدأ! يريد أن يُحدثها، الآن!

هتف بسرعة:

"ويندي.. ويندي.. ثواني بس."

لم تُبالِ، تابعت سيرها ولم تستمع له، تابع:

"استني أرجوكي، عاوز أفهمك حاجة بس.. ثواني يا ويندي أرجوكي..."

متوسلًا إليها في ضعفٍ شديد! التفتت له في غضب، وصاحت:

"ابعد عني يا إسلام، أنا بجد مش متحملة!"

ثم تابعت السير، ركض خلفها كالمجنون، واستوقفها مُجددًا:

"أرجوكي بس اسمعيني..."

قاطعته:

"مش عاوز أسمعك بقي! كفاية!"

نظر إليها بتوسل، وقال:

"أرجوكي يا ويندي..."

لم تُبالِ بتلك النظرات القاتلة التي تخترق قلبها! ولكنها أصرت:

"ابعد عني يا إسلام.. بدل ما هزعق وهلم عليك الناس!.. أنا مش طايقة حد!"

أصرَّ هو الآخر على عدم الرحيل، متوسلًا إليها مُجددًا!.. ولا حياة لمن تُنادي! هنا، أقبل مجموعة من الشباب أقوياء الجسد، لم ترهم ويندي من قبل، كانوا فقط يسيرون كالعصابة مع بعضهم البعض، وتوجهوا نحوهما! سرعان ما بدأ ذلك الشاب ذو الشارب بالحديث:

"هو أنت مش ناوي تسيب البت في حالها بقي و لا إيه؟"

التفتت ويندي إليهم، وشعرت بالقلق، فقالت:

"خلاص يا جماعة أنا هروح وهو مش هيعترض طريقي خلاص."

و لكن كان لإسلام رأي آخر:

"وإنت مالك!... دي زميلتي و احنا متخانقين وبحاول أصالحها."

صاح أحد الشباب:

"زميلتك وبتصالحها.. آه! صح!"

هنا أمسك أحدهم قميص إسلام بعنف! حاول إسلام المُقاومة ولكن قبضته كانت قوية بالفعل! كادت أن تُمزق ذلك القميص الذي يرتديه!

قالت ويندي في خوف:

"خلاص سيبه بقى.. ماعمليش حاجة صدقني!"

التفت الشاب ذو الشارب لها، وصاح:

"و هو احنا لسه هنستنى لما يعملك!"

ثم لكمه في أنفه بقوة شديدة! صرخت ويندي! عندما تجمع أولئك الشباب حوله، يضربونه ضربًا مُبرحًا! والمسكين وسطهم يُحاول المُقاومة ولكنه ضعيف أمامهم!

كانت ويندي تُحاول إنقاذه من بين أرجلهم التي كانت تُركله في وجهه الذي أصبح غارقًا في دمائه!"

"سيبوه بقي خلاص! سيبووووه!"

لم يكفهم، أحضر أحدهم عصا حديدية طويلة، وأنزلها بقوة على رأس إسلام! الذي بدا فاقدًا للوعي! وويندي تصرخ بأعلى صوتها:

"لأاااا!.. هيموت لأاا"

ثم بكت! ولكن..مع بُكائها،لمحت تلك الفتاة، تقف بعيدًا، تتأملها في صمت.. إنها تلك الفتاة التي تُدعى أوريتّا!..ترتدي ذلك الرداء الوردي، وتبتسم!

أثناء ذلك، فر الشباب، تاركينه غارقًا في دمائه! مُشوه الوجه! وكما نبتت الفتاة من العدم، اختفت مُجددًا!

ركضت ويندي نحو إسلام، مُتمنية، أن يكون على قيد الحياة!.. ولكنها مُجرد أمنية، يجوز لها التحقق، أو.. تظل مُجرد أمنية، لأنه بالفعل قد انتقل إلى رحمة الله!

ظلت تصرخ بأعلى صوتها! وسط تجمع الناس، وتمتمتهم عمًّا حدث. بكت بُكاءً شديدًا، نادمة! على ما حدث، وفي نفس الوقت، لا تفهم، كيف ظهر أولئك الشباب، ومعهم تلك الفتاة المُراهقة!

قطع صُراخها قدوم نورا، شقيقته التوأم، وهي تصرخ:

"لأاا! أخويا!.. إسلاااام! رد عليا! رد عليا! ونبي!"

غارقة في بُكائها! انسحبت ويندي من أمام الجثة، وتراجعت إلى الخلف، مُرتعشتان يداها، بل جسدها بأكمله! كانت تبكي بشدة! غير مُصدقة، تلك الأحداث التي تحدث لها! هل هذا واقع؟ أم أنها ما زالت تحلم وستستيقظ قريبًا؟

***

أُقيم العزاء داخل منزل المُتوفى، حضر جميع أصدقائه المَخلصين، من المُراهقين وبعض من صديقات شقيقته نورا المُراهقات.

والدته كانت تصرخ بأعلى صوتها، وتبكي بحُرقةٍ على ابنها الذي قُتل على يد أولئك الشباب، هذا ما ستقوله التحقيقاتُ بالتأكيد!

كانت نورا تجلس بجانب صديقاتها، تبكي بشدة، تشعر بألم أصبح موطنه القلب، مُزين بقطرات الدماء التي لا تنتهي، فقد جف حلقها من كثرة البُكاء، وذَبُلت بشرتها حتى أصبحت كالأحياء الأموات! أيضًا أرادت أن تنتقم من تلك الفتاة السمراء؛ لاعتقادها أنها المُتسببة في ذلك، وأنها كانت بوسعها أن تنقذه من قبضة أولئك الشباب، فهي تجهل الحقيقة للأسف!

كان المسجد مُمتلئًا بالمُصلين، فالجميع يُصلون على روح ذلك الشاب، الذي لم يتوقع أن كل أولئك الناس حزنوا على فراقه، وهذا ما كان يقوله دائمًا.. لن يشعر أحد بقيمتي، إلا عندما أرحل!

كان يقف أحمد وأيمن وكريم وماجد وعشرة من أصدقائه بين صفوف المُصلين، أمامهم ذلك التابوت الخشبي، الذي يرقد بداخله ذلك الجسد الهزيل، الذي عانى كثيرًا بسبب الأحزان، الآن وبعد أن حُررت روحه، أصبح مُجردًا من أي مشاعر!

كانت ويندي تجلس داخل غُرفتها، تبكي بشدة، وحُرقة، بجانبها آلاء ويارا، اللتان تحاولان تهدئتها بالطرق كافة، ولكن... لا فائدة! سلسلة مُتواصلة من البكاء الهستيري،تلوم نفسها على ما حدث! فهي المُتسببة في مقتله، هذا ما يدور داخل عقلها الصغير!

ظلّت تتذكر، تلك اللحظة التي قال فيها:

"بحبك يا ويندي، يا أغلى حاجة في حياتي!"

وهي كانت تنفر منه، وتُعارض تلك الفكرة المُراهقة! تتذكر عندما كانا معًا في ذلك الدرس الخصوصي، كان يجلس بجانبها، في حين كان المُعلم يشرح أمامهم على السبورة الصغيرة، في وقت الراحة، خبأ تلك الورقة بداخل حقيبتها، لم تكتشف ذلك إلا عندما عادت إلى منزلها، وفتحت حقيبتها مصادفة، لتجد تلك الورقة، تناولتها وقرأت ما بها:

"ماذا فعلتِ لقلبي حتى أصبح يعشق كل نفس تتنفسيه؟ ماذا فعلتِ لعقلي حتى أصبح مهووسًا بك! ماذا فعلتِ بمشاعري، حتى أصبحت كُلها لك! أحبكِ يا زهرة صباحي، ويا وردة مسائي، يا شمعة حياتي، التي لن تنطفئ إلا بوفاتي، على ذراعيك، مُتبسمًا لك لأن آخر ما سأراه في حياتي: هو أنتِ يا حبيبتي! أُحبك."

تتذكر أنها ابتسمت! رغم رفضها، ولكن شعرت بقلبها ينبض سريعًا، مُتأثرًا بذلك الكلام، أي قلبٍ ظل مُخلصًا لفتاة حتى مماته؟

كانت تتذكر كل لحظة كانا بها معًا، كُل نظرة حب كان ينظر لها بها،كل دمعة هطلت من عينيه بسببها، حقًا هي قاسية! ولكنه اختار طريقه،بإرادته، ولكن الندم لا يُفيد، وخصوصًا مع تلك الفتاة المسماة بويندي!

دخلت إيفالين الغرفة،مُتأملة شقيقتها السابحة في دموعها، أشارت لصديقاتها بالخروج حتى تستطيع التحدث معها على انفراد، ولكن مع وقوف آلاء ويارا، ازدادت في البُكاء، وصرخت بأعلى صوتها:

"لأااااااا.. أنا السبب! أنا قسيت عليه أوي! لأاا!"

ثم أسرعت تبكي بغزارة بـــهيستيريا شديدة غارقة بين أحضان شقيقتها،التي كادت أن تبكي هي الأخرى بسبب ويندي!ظلت تُردد:

"أنا بحبه أوي يا إيفالين! بحبه أوي!"

مُنهارة في البُكاء! خرج الصديقتان خارج الغُرفة، وجلست إيفا بجانب شقيقتها، مُحاولة فعل ما بوسعها لتهدئتها، ولكن.. هذا هو الشعور بالندم، الذي لم تقبله ويندي..والآن، بالتأكيد لن يقبله إسلام المُتوفى!

ويندي

تابَعَت الحديث:

"أصعب لحظة مرت عليا بجد! معرفش أنا ليه فضلت أعيط طول الفترة دي!"

أجابها زوجها:

"أكيد علشان عمّالة تأنبي نفسك في اللي حصل.. مع إنك مالكيش أي ذنب في.."

قاطعته بسرعة:

"لأ استنى! أنا كنت السبب في إنه يموت!"

"ازاي وإنتِ كاتبة إنك كُنتي بتحاولي تنقذيه من الشباب دول!"

أخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت:

"الموضوع أكبر من كده بكتير،إسلام كان لازم يموت،علشان كان بيحبني، وهي دي المشكلة!"

"مش فاهم."

"ده إسلام ده حكايته حكاية! ده حصله أغرب حاجة ممكن تتخيلها! بس.. هتفهم بعدين."

لاذ الصمت برهة.ثم أردفت:

"المهم.. زي ما قريت، فضلت أكتر من أسبوعين حابسة نفسي في أوضتي، وعمّالة أعيط،وبصراحة ماحصلش أي حاجة غريبة معايا.. وده كان فضول بالنسبالي، يعني....الكلام اللي قالوا والدي، وكلام زهرة..الموضوع بقى غريب شوية، بس انشغلت، علشان فرح أُختي! حاولت أفرح، علشان دي أُختي الوحيدة، وأخيرًا اتجوزت الإنسان اللي بتحبه"

إيفالين

تم زواجها من بيتر، الذي وعدها بأن يظل بجانبها، ويخلص في حُبه لها، وأن يحميها طيلة حياتهما معًا! وبالفعل، كانت عيناه صادقتين بكل كلمة قالها، فهو بالفعل يُحبها من غياهب قلبه، وهي أيضًا تعشقه! ذلك الشاب الذي لم تُحب سواه، ولم ترَ في هذه الدُّنيا غيره كان بجانبها، ملأ حياتها بالحب، شعرت بنفسها وهي معه، رأت تلك الحياة بعينيه، فوجدتها جميلة وبريئة! ولهذا تعشقه!

دخلا تلك الشقة الجديدة، في الزمالك، حاملًا لها بحنان، كانت مُرتدية ذلك الفُستان الأبيض، حلم كُل فتاة! كانت تبتسم له في حنانٍ شديد، فقلبها ينبض عشقًا لمجرد رؤيتها له، فما بالك وهو يحملها برومانسية! أسرع إلى غرفة نومهما، ووضعها برفق على السرير، ثم جلس بجانبها في سعادة بدأ الحديث قائلًا:

"أخيرًا يا إيفا.. أخيرًا!"

أجابت في خجلٍ شديد:

"باين كده إنه أخيرًا."

مُبتسمة. تابع حديثه:

"أنا مش مصدق، لا حقيقي مش مصدق.. يعني أنا وانت...خلاص.. بقينا مع بعض! فاكرة لما قالوا إنها مرحلة وهتعدي؟ و لما نكبر هنعقل؟ لو بُعدي عنك هيخليني عاقل فأنا عندي إستعداد أعيش طول عمري غبي!"

تورّد وجهها خجلًا!

"ما تبطلي كسوف بقي!"

ضحكت في خجل، وقالت:

"مش عارفة!"

"طب تمام..بُصي بقى واسمعيني كويس.. يا حبيبتي!"

ثم صمت لبُرهة. فقطعت الصمت قائلة:

"ها.. كُنت هتقول ايه؟"

لُيجيب:

"مانا مش هتكلم غير لما أسمعها منك."

"تسمع ايه؟ "

مُبتسمة.

"سامعاك يا حبيبي!"

ابتسمت بشدة، في خجلٍ شديد، وقالت:

"لازم يعني؟"

"مش هتكلم."

"طب خلاص خلاص."

ثم صمتت لبرهة، ثم قالت في خجل شديد:

"سامعاك يا حبيبي."

تابع حديثه:

"أنا وعدتك قبل كده، وهوعدك تاني، بجد يا إيفالين، أنا كنت بحبك،وما زلت بحبك، وهفضل أحبك العُمر كله! عُمري ما هزعلك، ولا هضايقك..هنبقى إيد واحدة في كل حاجة تقابلنا في حياتنا، هفضل أدعيلك وأنا بصلي في الكنيسة، إن ربنا يخليكي ليا، وميحرمنيش منك أبدًا، يا حياتي!"

ثم قبّلها برفق، في حنانٍ بين زوجين يعشقان بعضهما البعض بكل ما تحمله الكلمة! ليلة جميلةً ورومانسية لن تعصف بسرعة، فبالتأكيد سيتمسكون بالوقت حتى لا تنقضي! ماذا يمكن أن يجعل ليلةٍ كهذه مُعكرة! سوى تلك القطة السوداء لامعة العينين المُحدقة إليهما من وراء تلك النافذة المُطلة على الغُرفة!

"هسيبك بقي علشان تغِيّري براحتك.. تمام؟"

ابتسمت هي:

"تمام."

خرج من غُرفتها، ونظراته ما زالت تُحدق بها، ثم دلف إلى الخارج غالقًا الباب عليها.مرّت لحظات ليست بطوال، حتى فتحت إيفالين الباب، غارقة في خجلها، مُرتدية فُستانًا مُفصلًا خصيصًا من أجل جسدها الذي بدا وكأنه خريطة حوض النيل!

اتسعت عيناها، وذُهِل عقلها! ووضعت يديها الناعمتين على فيها بغتة! عندما أبصَرَت المفاجأة!

زَهرة

تتمنى لو أن تعلم من تكون؟ وكيف تستطيع التواصل مع أولئك الأشخاص! هذا يجعلها غريبة، وشاذة عن بني البشر! تعيش مع عمّها في ذلك المنزل المُتواضع، رجل كهل يكاد يسير على قدميه ليشرب كوبًا من الماء! أصبحت تعتاد على الأمر، تِي تلك الفتاة التي تُدعى أوريتّا، كُل يوم، قبل أن تخلد إلى ذلك النوم العميق! لا تعلم من تكون تلك الفتاة، ومن أين تأتي!ولكنها تشعر أن كُل هذا له علاقة بوالدتها التي لم ترها قط! وبـــتلك الفتاة السمراء!

تشعر بتلك المسئولية تجاه عدة أشخاص، لا تعرف هويتهم، ولكن دائمًا ما شعرت أن هُناك شيئًا غريبًا يحدث، ويجب عليها معرفته، ومُساعدة أولئك الأشخاص مجهولي الهوية!

عندما كانت في العاشرة من عُمرِها، كانت تسير في ذلك الشارع المُجاور لمنزلها، تشتري دواءً أراده عَمها، اقتربت من بوابة العمارة،

لترى جيشًا من الفراشات! تُحلق مُتَجوّلة حول العمارة بأكملها، كانت في غاية الجمال! والألوان الزاهية، التي تُسعد العين عند رؤيتها، وتُشرح القلب، عند سماع صوت رفرفة أجنحتها!

لاحظت أن هُناك من يتحكم بتلك الفراشات، ويوجهها حسب ما تُريد، إنها تلك الملِكَة،التي كانت في حجم قطٍّ بري! كانت تعترض البوابة، وتقف في هدوءٍ شديد، تتخلل الصغيرة، كأنها توجه لها رسالة ما.. (إنه أنتِ)!

ماذا يمكن أن تفعل طفلة صغيرة عند رؤيتها لذلك المشهد؟ هَلَعت وصرخت بأعلى صوتها، وركضت بعيدًا عن ذلك الشارع، حتى اصطدمت بذلك الرجل ذي الشارب، يرتدي معطفًا أسود كبيرًا، وينظر لها من تحت نظّارته السوداء بعينين تلمعان!

سرعان ما تحدث وقال:

"ماتخافيش، مش هيعملولك حاجة، لأن مافيش فراشات بتأذي أميرهم!"

أميرة

اشتعل المنزل بأكمله، حتى صرخ الشيخ، وكُل من كان بالمنزل من عائلة أميرة، كانت النار تزداد في الاشتعال، بوحشية شديدة!

ورغم ذلك كانت تجلس هادئة، في ثباتٍ تام، شاردة العينين، سارحة في شيء ما يحدث داخل عقلها، غير مُتأثرة بتلك النيران من حولها!

صرخت والدتها بأعلى صوتها، مُحاولة إنقاذ طفلتها من النيران، ولكن، لا فائدة.. كانت النيران تزداد بغزارة! مانعة أي شيء يقترب من المُراهقة، التي بدأت تبتسم في هدوء!

حاول الشيخ، ومعه العائلة الكريمة، الهروب من ذلك الباب المُغلق بقوة! لم يستطيعوا فتحه! كانوا يصرخون هلعًا من تلك النيران! يريدون النجاة منها، ولكن.. كان لتلك المُراهقة رأي آخر!

حيث وقفت في ثبات، وصفّرت بفيها صانعة نغمة معينة تعلمها جيدًا، ونظرت إلى والدتها بهدوء، وأمَرَت تلك النيران بالتهامها حية!

فصرخت والدهما بأعلى صوتها ألمًا، وشعرت وكأنها في جهنم!

وكما فعلت بوالدها المسكينة، فعلت بوالدها، وذلك الشيخ الذي كان يقرأ تلك الآيات التي لم تُنقذه بعد، ليس لأنها لا تفلح، ولكن..كما قالت، فالله هو من فعل تلك الأحداث لسببٍ ما!

بدأت تُدندن مُجددًا:

ها قد آن الوقت لاستكمال خُطّتنا!

و لن نستسلم ولن نتخلى عن حُلمنا

أيها العالم!

آن الوقت لنلعب!

لُعبة الثّعلب والأرنب!

نظرت إلى صديقتها في هدوء، والتي كانت تصرخ خوفًا، مُرتعش هو جسدها، وتفيض الدموع من عينيها، وتصرخ مُتوسلة:

"أرجوكي يا أميرة،أنا صاحبتك، ووقفت جنبك كتير، أرجوكي.. مش عاوزه أموت!"

ظلت أميرة تتخلل صديقتها، وهي تصرخ، مُتوسلة إليها، راكعة لها أرضًا! وهنا أمرتها بالرحيل فورًا! فأسرعت نحو الباب الذي فُتح بكل سهولة! وثبت إلي السلالم في فزع! ليس وحدها، فجميع سُكان العمارة فقدوا منازلهم بسبب تلك النيران التي اشتعلت في جميع شُقق العمارة! أسرعوا جميعًا خارج تلك العمارة،راكضين بأقصى سُرعتهم،

ولكن..لم يكادوا أن يبتعدوا،حتى انفجرت العمارة بأكملها! وسقطت فوق رؤوسهم!

بعدما سقطت تلك العمارة على الأرض، فوق رؤوس السُّكان، أحدثت فوضى عارمة في الشارع! صوت الارتطام كان مُفزعًا! حتى صمت كُل شيء، ولم يتبقَّ سوى ذلك الغُبار الذي ساد المنطقة بأكملها!

هاجر

أشرقت الشمس، مُعلنة عن بداية يوم دراسي جديد، سيمر على تلك المدرسة! كان قد مرّ على وفاة إسلام شهر كامل، حيث أعطت المدرسة إجازة لجميع الطُّلاب، كنوع من الحداد! طال أسبوعًا كاملًا!

كان المشهد المُعتاد يسود المدرسة،حيث التلاميذ الصغار يركضون هنا وهناك فرحين! والطالبات المُراهقات يتجولن في أنحاء المدرسة، ضاحكات! بينما كانت تجلس هاجر على تلك الكراسي الخشبية، سارحة في عالمها الافتراضي، تُفكر.. ماذا يجب أن أفعل مع أيمن؟ هل أبدأ بالحديث معه؟ أم.. أتركه نهائيًّا؟

ما زالا في حالة خصام، ولكنهما مازالا يُحبان بعضهما البعض! قطع تفكيرها هذا ذلك الشعور الرتيب، وهو الرغبة في الدخول إلى الحمام! وقفت واتجهت بسرعة نحو تلك الحمامات خلفها، ما زالت تُفكر وتُفكر..حتى أصبحت أمام ذلك الباب الخشبي المُتهالك،

دفعته بيديها برفق، لتجد تلك الأيادي، تسحبها بقوة شديدة! مُغلقة الباب خلفها! لم يشعر أحد بما حدث، فكان الجميع مُنشغلًا سارحًا في أفكاره،غير مُنتبه بما يحدث للمُراهقة داخل تلك المراحيض! بعد لحظات طويلة، فُتح الباب الخشبي، وشيء ما دفع تلك المُراهقة بقوة إلى الخارج! حتى أصبحت بجانب تلك الكراسي، جُثة هامدة! غارقة في دمائها! عليها آثار الاغتصاب!

كان واضحًا جدًّا، حيث فيضان من الدماء يندفع من بين ساقيها!

هُنا انتبهت جميع الطالبات لهذا المنظر، فأسرعن إليها، وظللن يهززنها حتى تستفيق، ولكن..قد فات الأوان!ماتت!

صرخت بعض الطالبات! وتجمع معظم المُعلمين، مُتسائلين:

"هو إيه اللي حصل؟!"

يتدافعون بقوة، لحمل تلك الفتاة، ظنًّا أنهم يستطيعون إنقاذها! ولكن.. لا فائدة، فقد انتقلت إلى السماء بالفعل!

ويندي

لم تُبالِ بما حدث لهاجر، لأنها قررت أن تذهب إلى المكان الذي بدأ فيه كُل شيء، الطابق السابع! كان المبنى خاليًا من البشر، فالجميع كان في الساحة بسبب وفاة تلك المُراهقة المسكينة! فكانت صاعدة سلالم الأدوار بسرعة، كأنها تُطَارد من شخصٍ ما، ولكنه ما زال مجهولًا، كانت تُفكر، ماذا إذا لم تعد سالمة؟ ماذا إذا لم تعد من الأساس؟!

لا تدري، فأمامها تلك المُهمة المجهولة، والتي اشتركت بها رغمًا عنها، لسببٍ ما لم تعلمه بعد، أو لم تفهمه جيدًا! فهذه الجُملة كانت تتردد داخل عقلها بكثرة! ابنة "أمانديال!"

صعدت إلى الدور السادس، ووقفت، تشعر بنبضات قلبها تنبض بسرعة البرق! فهي خائفة، وقلقة، مما ستراه، بالأعلى! بدأت في التوجه إلى تلك السلالم الرُخامية الفاصلة بين ذلك الطابق المجهول!

صعدت درجة، ولم تكد تصعد الدرجة الثانية من السُّلم، حتى نبتت تلك الحشائش حول قدميها ببطء! كانت السلالم تنبت تلك الورود الحمراء،والأزهار المُـــتطايرة بفعل تلك الرياح، حتى انتشرت حول ويندي، والتي وقفت في ثبات تام، عندما سَمعت ذلك الصوت مُجددًا! نعم، هي تعرفه جيدًا، ودائمًا ما أثار فضولها!

تلك الموسيقى الساحرة، الصادرة من آلة الكمان، وتلك المرأة التي همُس بتلك الكلمات:

" ،If you're listening to my voice

،So you 'll decide your choice

،If you decided to be with me

،Then leave your life and raise the sail

، that love will never fail،Cuz I know

،Trust me my dear

and all your dreams will ، in the dark،you'll spark attacking you like a shark!

، Find the way to that sea،Please

Then find a way to follow me "

كادت أن تبكي بسبب همسات تلك المرأة! فصوتها كان نقيًّا، جميلًا، ساحرًا! توجه رسالة ما إليها، حاولت التركيز أكثر، ولكنها لا تفهم ما معنى هذا الكلام! اقتربت من الباب الخشبي، الذي كان مواربًا!حتى أصبحت أمامه مُباشرة! هنا بدأ كُل شيء، وهنا.. ستبدأ حياتها الجديدة، في ذلك العالم!

كانت الفتاة تقف مُستندة على الباب مُباشرًا في ثبات، مُمسكة بآلة الكمان، وتعزف تلك الموسيقى الحزينة، ووراءها تلك المرأة التي كانت تقف بعيدًا عنها، ما زالت تهمس بتلك الأُغنية! توقفت عن العزف، ولكن المرأة لم تتوقف بعد عن الغناء، فابتسمت، وقالت:

"كُنت عارفة إنك عارفة مصلحتك، و هتيجي!"

رغم أنها كانت ترتجف خوفًا، ولكنها قالت في ثقة:

"ممكن تفهميني كُل حاجة بقى؟!"

أجابت بتلك الابتسامة:

"عاوزه تعرفي إيه؟"

لم تتوقع ويندي هذا الرد! فصمتت لبرهة، ثم قالت:

"ماما، عاوزة أعرف كُل حاجة عنها! و..الكلام اللي قالوا بابا، والست المغربية اللي اتجوزها غصب عنه! ممكن أفهم بقى كُل اللي بيحصل؟"

ضحكت الفتاة في سُخرية، وقالت:

"بقى هو ده أقصى طموحك!"

ثم ضحكت مُجددًا! شعرت ويندي بالغضب، فصرخت:

"إنتِ بتضحكي ليه؟"

تحسست وتر تلك الآلة، وأجابت في هدوء:

"كُنت فاكرة إنك هتكوني عاوز تعرفي عن... مين الأقزام اللي شوفتيهم؟ أو.. مين اللي إنتي رايحلها أصلًا! أو.. ليه والدتك ماتت من الأساس!....و الفراشات! "....صمتت لفترة قصيرة، ثم أكملت:

"مش عاوزة تعرفي أنا مين؟ وجيت منين؟ ومين الست اللي بتغني ورايا؟ ومين بنتها؟"

ثم ضَحِكت مُجددًا، وأضافت:

"آه بنتها، إللي هي أُختك يعني!"

اتسعت عينا ويندي في ذهول! وتسمرت في مكانها، ولم تنبس بأي حرف! ابتسمت الفتاة مُجددًا، وقالت في هدوء:

"يلا.. مفيش وقت نضيعه، تعالي ورايا."

أصاب جسدها رعشة شديدة لن تنساها طيلة حياتها! لأنها فكرت لوهلة، إلى أين سأذهب معها؟! قالت بصوتٍ مُرتعش:

"أ..أجي وررراكي فـــ..فين؟"

أجابت الفتاة في هدوء:

"هنروح نقابل الأميرة، علشان هي عاوزة تشوفك!"

"أ...أميرة...أميرة مين؟!"

أجابت الفتاة:

"أميرة قارة سالاريا!"

سَرعان ما مدت تلك الفتاة العجيبة يدها، قائلة:

"يلا بينا يا ويندي، يلا بينا نقوم بالمهمة دي علشان نرجَّع وطننا، و ننقذ الثلاث عوالم من الخطر اللي جي.. خطر المجتمع الخفي يا ويندي! "

صمتت، و أضافت بعد لحظة:

" أُختِك الأميرة مستنياكي بفارغ الصبر! مش عاوزين نتأخر عليها، علَشان الطريق طويل لقرية فايرلز! "

ترددت ويندي في البداية، ولكن سَرعان ما استسلمت إلى الأمر الواقع! فلا مَفر، سوى الذهاب مع تلك الفتاة.. إلى ذلك المجهول، خلف ذلك الباب!

و من هُنا، تبدأ الرواية!

سيلين

استيقظت من ذلك النوم العميق، الذي شعرت فيه أنها قد نامت خمس سنواتٍ كاملة! لتجد نفسها مُلقاة على تلك الصخور، على ذلك الشاطئ، غرب مولاريا! حاولت أن تستفيق، وتسترجع ذاكرتها من جديد، ماذا حدث؟ لا تتذكر أي شيء، سوى تلك القلادة التي وجدتها داخل قبضة يدها، ما زالت تلمع، وما زالت تود منها أن ترتديها، كما أمرتها تلك المرأة، التي كانت مُنذ ولادتها تعلم أنها والدتها، ولكن..منذ بضع ساعات،علمت أنها خالتها!إذن،أين والدتها؟

حاولت أن تقف، ولكنها شعرت بذلك الدوار يخترق رأسها، فشعرت بكمٍّ كبير من الألم، والحُزن أيضًا!

فاضت تلك الدموع من عينيها، وظلّت تصرخ بأعلى صوتها مُتحسرة على هلاك قومها! فلم يتبقَّ سواها الآن! فهي سوف تتحمل تلك المسئولية، وهي البحث عن شقيقتها التي لم ترها قط! ولكن

كيف؟ فهي ضعيفة، وهزيلة الجسد،ليست قوية كالمُحاربين، وهي تعلم، أن رحلتها لن تكون سهلة على الإطلاق!

حاولت أن تقف مرة أخرى،مُتفادية ذلك الدوار،ونجحت أخيرًا.. وظلت تتأمل البحر أمامها، كم موجةٍ تأتي، وتحمل معها تلك الأسرار التي لطالما أرادت معرفتها!

التفتت حولها، لتجد رجلٌ يدعى هيرلي، يقف أمام تلك السفينة الشراعية الضخمة! خطت نحوه ببطء، وهتفت:

"هيرلي!"

التفت إليها ذلك الرجل الضخم، وهتف:

"هيا.. أسرعي، فالسفينة على وشك الإبحار الآن!"

اقتربت منه، وقالت: "ماذا حدث لقومنا؟"

نظر إليها في حُزن، وأجاب:

" أُبيدوا بالكامل يا صغيرتي!"

نظرت أسفلها،وكادت أن تبكي مُجددًا، ولكن سَرعان ما أضاف هيرلي قائلًا:

"ولكن.. لا تنسي، أنكِ الناجية الوحيدة! وسوف أذهب معك الآن على تلك السفينة، إلى فَرنسا، حيث يسكنها قومي!"

ولكن لم تُجدي كلماته أي نتيجة، فهي ما زالت تبكي!

قال لها في حنان:

"تعالي يا صغيرتي."

فاقتربت منه حتى ارتمت بين أحضانه الدافئة! وكأنها كانت تُريد أن تفعل ذلك مع والدها، ولكنها.. قُتلت قبل حتى أن تودعها!

ظلت تبكي بين أحضانه، حتى ربت على كتفها، وقال:

"اسمعيني يا سيلي، أنتِ الآن ما تبقى من قومك، وهذا هو الأمل! إذا كُنتِ تُحبين خالتك، فافعلي ما قالته لكي، ولا تيأسي، حتى تجدي شقيقتك!"

ثم أضاف بعد صمتٍ قصير:

"وأولًا.. ارتدي تلك القلادة كما أمرتك خالتك، هيا!"

نظرت سيلين إلى القلادة، ثم ارتدتها بسرعة. تابع قائلًا:

"والآن.. ماذا ننتظر؟"

قالت هي:

"هيا بنا إذًا!"

أمسكها من يدها الصغيرة بحنان، وتوجها إلى تلك السفينة، التي كادت على وشك الإبحار! مُتجهين إلى .. فرنسا!

أميرة

بعد لحظات، تجمع الناس حول بقايا العمارة، حيث الغُبار ما زال يتصاعد، والسكان مُهشمون تحته بالتأكيد! كان هذا الحدث كفيلًا بأن يأتي عدد لا بأس به من الصحفيين، وعربات المطافيء والشرطة، انتشروا كالجراد حول المكان! ووسط كل تلك الأحداث، تحركت تلك القوالب الطوبية، لتخرج من باطنها يد مُتسخة! إنها علياء، ما زالت على قيد الحياة! ولا تَسألوني كيف؟ بل سِلوا أميرة!

ظلّت تُحارب من أجل الخروج! تدفع تلك القوالب بما تبقى لديها من قوة! في كل مرة تكاد أن تخرج كانت تتعثر، إلى أن استطاعت أن تخرج في النهاية بعد عناء، وتقف تُحاول أن تستوعب ما يحدث من حولها! الكثير من الناس،الصحفيين منهم والشرطة، وأيضًا العامة!

صرخ أحد الصحفيين بغتة! مُشيرًا إلى شيء وسط الغُبار! تجمع الناس بسرعة،وتسابقت الكاميرات في التصوير، تصوير أغرب مشهد ممكن أن تصوره كاميرا منذ ابتكارها! اقتربت علياء ببطء نحو ذلك الشيء الذي يُفزع الناس، وسرعان ما اتسعت عيناها هلعًا! واضعة كلتا يديها على فيها، صارخة:

"يا لطيف يارب!"

ثم وضعت يدها اليُمنى على قلبها الخافق بشدة! ماذا أبصَرت؟ حسنًا..لنرَ ذلك المنظر المُخيف والأتربة تُحيط بها من جميع الاتجاهات! ولا تستطيع أن ترى شيئًا سوى تلك الفتاة الغريبة، التي كانت تقف شامخة،بتلك العينين الشاردتين،اللتين تُحدقتن في تلك الأجنحة السوداء الطويلة، المُتفرعة من عمودها الفقري! وشعرها أصبح بُنيًّا، طويلًا بشكل مُبالغ فيه! يكاد يصل إلى قدميها المُتسختين! والمُلاحظ أيضًا طول قامتها الذي زاد عن طوله الطبيعي، وبدا وكأنها ليست آدمية! بالتأكيد هي ليست آدمية! ما تراه علياء أمامها ما هو إلّا شيء خارقًا للطبيعة!

فرّ العديد من الناس فزعًا، وتقدم الآخر مُحاولًا التقاط صورة بالتأكيد سيجني الملايين من ورائها!ولكن لم يدم المشهد طويلًا.. حيث حدّقت أميرة في وجوه الجميع باسمة! تتخللهم واحدًا تلو الآخر في هدوء، إلى أن وصلت إلى علياء المُستطار قلبها!

حاولت علياء أن تتراجع عدة خطوات، ولكنها توقفت عندما رأت أميرة ترفع يدها إلى السماء، باسطة جناحيها في الهواء، وتُردد

كلمات بلغة غريبة على أُذن مراقبين المشهد، استطاعت علياء تمييز فقط كلمة واحدة:"الطوفان!"ولم تكد أن تنتهي أميرة من كلمة "الطوفان" حتى تساقط المطر،رويدًا رويدًا..فتطلع الجميع إلى السماء، فانهمر بشدة حتى أصبح خريرًا من المياه تتساقط من سُحب أقبلت من العدم غطّت رؤوس الناس في تلك المنطقة فقط!

و رفعت يدها إلى السماء مُجددًا، ورددت تلك الكلمات الغريبة مُجددًا، حتى انزاحت السُّحب من تلقاء نفسها، مُعلنة عن انبعاث أشعة الشمس لتدفئ الحاضرين! إنها مُعجزة!! واكتمل المشهد غرابة! حين أقبل عليها ستة رجال، يرتدون عباءات سوداء، وقلنسوة مُنسدلة على أعينهم فتخفيها، وقفوا بجانب أميرة في خضوع ورهبة! همس أحدهم في أُذنها، بعدها التفت بسرعة لصديقتها الصدوقة، علياء! حيث كانت تقف في هلع فاق وصفه!

تحسست أميرة الجناحين بأناملها، عندما قالت:

"علياء! أنا أنقذت حياتك، يبقى انتي دلوقتي هترديلي الجميل ده!"

وهُنا نظرت إليها في غضب، أو بمعنى آخر، في شر! فانتفض جسدها، وأرادت الهروب، ولكنها سألت:

" أ...أ.. قصدك إيه؟"

ابتسمت لها، وقالت:

"هتيجي معايا،ورانا شُغل كتير هنخلصه سوا يا....صديقة عُمري!"

سيلين

كان الجو صافيًا مُشرقًا حين أبحرت تلك السفينة مُحملة بالمُراهقة ذات الرداء الأصفر، ومعها هيرلي، الذي كان يقف مُستندًا على سور السفينة الخشبي.

أقبلت عليه سيلين، مُحملة بالأحزان والآلام! فهي كانت تعيش حياةً مُسالمة، وهادئة، تلعب في مزرعتها مع بقرتها العزيزة، وتستنشق الهواء العليل المُحمل بالسعادة والطمأنينة لِقلبِها الصغير. لم تكن تتوقع حدوث كُل هذه الأحداث التي ستُغير مَسار حياتها، وستكشف لها العديد من الأسرار عن هذا العالم الكبير، أسرار لم تكن تنتظر لكي تعرفها، لأن هُناك أشياء من الجيد أن تظل مستَتِرة عن معرفتنا!

"لماذا؟"

قالت سيلين.

التفت إليها، ليجدها ناظرة إليه في ضعفٍ شديد! فقال:

"ماذا تقصدين بلماذا؟"

استندت علي السور، وحدّقت إلى البحر الهادئ نوعًا ما، وقالت: "لماذا شقيقتي هُناك في فرنسا، وأنا بقيت على تلك الجزيرة؟"

ثم صمتت لبرهة، وتابعت:

"أعني.. لماذا تم فصل بعضنا عن بعض؟ لماذا ذهبت هي إلى فرنسا وظللت أنا هُنا؟ وأمي!"

ثم صمتت مُجددًا..كأنها تذكرت شيئًا كان يجب أن تقوله، ثم تابعت:

"أمي.. أين هي؟" ثم نظرت إلى هيرلي الذي كان يسمعها باهتمام، وسألت مُجددًا:

"أين هي؟"

بل أضافت سؤالًا آخر:

"من صانعة الفراشات؟!"

أخذ هيرلي شهيقًا، ثم زفره ببطء، وأجابها قائلًا:

"والدتك توفيت منذ زمنٍ بعيد يا سيلي.. لأنها كانت ساحرة!"

اتسعت عيناها، وقالت في دهشة:

"ماذا؟ ســـ...ساحرة؟!"

"نعم يا صغيرتي، إنها قصة..حدثت منذ زمنٍ بعيد..للأسف، والدتك لعبت دورًا رئيسيًّا في تلك القصة..مما أدى إلى..وفاتها، مُحترقة!"

"مُحترقة!.. لماذا؟ أخبرني بكُل شي يا هيرلي.. أرجوك!"

أخذ شهيقًا مُجددًا، وقال:

"حسنًا، فلا تزال الرحلة طويلة حتى نصل، بدأت القصة عندما تم صُنع ذلك ال..."

ولم يُكمل حديثه، بسبب صيحات قائد السفينة:

"قراصنة!...قراصنة!"

التفت الاثنان،ليجدا الرُكّاب في حالة من الهلع والخوف! يركضون هُنا وهناك حول السفينة، قاصدين مكانًا للاختباء فيه من أولئك القراصنة!

ولكن..لم يكونوا قراصنة كما قال البعض! فقد رأت سيلين سفينة عملاقة وقفت بجانبهم، وخرج منها العديد من الأقزام!

صاح هيرلي في ذُعر، قائلًا:

"لا.. إنهم ليسوا قراصنة...إنهم أقزام جوف الأرض!"

صاحت سيلين قائلة:

" ومن يكونون أولئك الأقزام؟!"

"كُنت أظن أنها مُجرد أسطورة! كُنت أظن أنها أكاذيب! ولكن.. كيف؟"

في أثناء ذلك هجم الأقزام على السفينة ذابحين من يصطدمون به! بسيوفهم الحادة،ورماحهم المُدببة التي لا تضل طريقها أبدًا! مُخترقين أجساد طاقم السفينة،وبعضًا من الذين ما زالوا يبحثون عن ذلك المكان للاختباء! حاول الاثنان الاختباء، ولكن..إنهم"آل مالاجافايرلس!".. أسرع وأمكر الكائنات بين جميع العوالم!

امتشق هيرلي سيفه،وحاول الدفاع عن المُراهقة التي كانت تصرخ خائفة! وحدثت مبارزة عنيفة بين هيرلي وذلك القزم الذي يزعم أنه زعيم هذه الفرقة من الأقزام،كان مُلتحيًا،وأصلع الرأس،ويرتدي تلك العباءة الحمراء! ولكن.. لم يستطع هيرلي المُقاومة! فالعدو كان سريعًا للغاية في تلقين الضربات بالسيف، وخفيف الحركة حتى أنه لم يستطع سيف هيرلي لمس جسده المتين! حتى انتهي الأمر بتلقي هيرلي طعنة في صدره من قِبل سيف ذلك المخلوق البشع! بكل سهولة! ودون عناء! صرخت سيلين بأعلى صوتها! مُرددة:

"هيرلي! هيرلي!"

ولكن..أمر ذلك الزعيم بحمل المُراهقة من قِبل الأقزام،قائلًا بصوتٍ أجش:

"أحضروا سيلين!"

حاولت سيلين الهرب، ركضت حتى وصلت إلى مُقدمة السفينة، حيث حاولت الاختباء في إحدى الغُرف هُناك،ولكن..استطاع الأقزام

بسرعة حركتهم، وقوة مُلاحظتهم، القبض على ذات الرداء الأصفر، والتي وقعت بين أيديهم مغشيًا عيها! حملوها إلى سفينتهم، وأبحروا غربًا مُتجهين إلي تلك الجزيرة الضخمة التي نبتت في وسط البحر من العدم!

مرَّ على تلك الواقعة ما يقارب الساعتين! بعدها أفاقت سيلين في ذُعر، لتجد نفسها مُحملة على كتف أحد الأقزام، الذي كان يقف على شاطئ تلك الجزيرة، بين باقي أفراد فريقه.

سمعت صوت همساتهم تخترق أُذنيها، فهمست في تلقائية:

"أين أنا؟"

فالتفت إليها أحدهم، وقال:

"انظروا يا رفاق! الفتاة أفاقت!"

والتفت الجميع نحو سيلين التي كانت تُصارع من أجل استيعاب ما حولها. اقترب أحدهم من سيلين في غضب، وقال:

"تريدين أن تعرفي أين أنتِ؟ حسنًا.. أنتِ في جزيرة!"

وارتفعت صيحات باقي الأفراد كالوحوش! فهمست سيلين في ضعف:

"وإلى أين ســــتأخذونني؟"

فأجاب أحدهم مُحذرًا:

"أنصحكي يا فتاة بعدم المعرفة! فقد تخافين ويتوقف قلبك عن النبض! فنفشل في تلك المُهمة!"

ردت عليه في حدَّة:

"ولكنني بالفعل خائفة! ألا ترى ذلك؟"

اقترب أحدهم منها، ونظر في عينيها، وقال:

"نعم.. نستطيع أن نرى الخوف يغمر عينيك الزرقاوين، ونعرف كم ترتعشين خوفًا مما تراه عيناك الآن!"

قاطع أحدهم قائلًا:

"نعم! فتلك الفتاة لم ترَ أقزامًا من قبل!"

هُنا أتى الزعيم، وقال في غضب:

"حسنًا، كفي ثرثرة.. وهيا بنا نخترق تلك الغابة المُتشابكة! إنها رحلة طويلة ويجب أن نتحملها!"

صاحت سيلين بصوتٍ مُتقطع:

"رحلة طـــ...طويلة...إلى أين؟"

التفت الزعيم إليها..ناظرًا لها في شرٍّ عميق،وصاح بصوته الأجش المُخيف:

"تريدين أن تعرفي إلى أين سنأخذك؟ حسنًا يا فتاة.. سنأخذك إلى ملكة هذا العالم "آسيرلا"! والتي ستقهر وتحرق سكان بريطانيا واحدًا تلو الآخر!"

والابتسامة الشريرة مُرتسمة على شفتيه!

زَهرة

كانت جالسة في ذلك النادي، بجانبها أحمد، الذي بدا مُهتمًّا بها كثيرًا، وهي لاحظت ذلك.. ولكنها سَرعان ما تتهرب!

"بتفكري في إيه؟"

قال أحمد، عندما ظل مُتخللًا ذلك الوجه الملائكي، والذي بدا مُتأملًا تلك الفراشة الصغيرة التي أقبلت على الطاولة، أجابت في هدوء:

"شايف يا أحمد الفراشة دي."

نظر أحمد إلى تلك الفراشة على الطاولة، كانت صغيرة، وجميلة المنظر،جناحاها يميلان إلى اللون الأزرق كالبحر! تقف في هدوءٍ شديد، تتأمل تلك العيون الزرقاء!

"اها، شكلها حلو فعلًا!"

"مش قصدي كده.. عُمرك فكّرت الفراشة دي جت منين؟"

أجابها:

"أكيد من أي مزرعة، غابة، اي منطقة في شجر وورود!"

التفتت إليه، وقالت:

"اه، ده لو كانت فراشة أصلًا!"

تعجب قليلًا، وقال:

"قصدك ايه؟مش فاهم!"

لم تُجبه، ظلت مُتأملة تلك الفراشة، التي سرعان ما طارت بعيدًا، تاركة تلك الابتسامات التي رسمتها على وجه زهرة!

التفتت إليه، وقالت:

"ايه رأيك في ويندي؟"

تعجب من هذا السؤال المُفاجئ، فأجاب:

"عادي، أُختي يعني، بقالنا كتير عارفين بعض."

قالت بسرعة:

"تعمل ايه لو قلتلك إنها كانت بتحبك؟ ده قبل ما تختفي يعني!"

اتسعت عيناه في دهشة! وأجاب:

"بتحبني ازاي؟ بقولك دي أُختي وهي عارفة كده كويس."

"جاوب على أم السؤال!"

قالت في صرامة.

صمت لبرهة، يُفكر في تلك الإجابة، التي يستطيع بها تفادي جرح مشاعر من يُحبها! ثم قال:

"لو هي جت وقالتلي بحبك يا أحمد، بصراحة هستغرب جدًا وهقولها انها دايمًا كانت أُختي وعُمري ما فكرت في حاجة تانية غير كده!"

قالت مُبتسمة:

"يعني مش هيهمك زعلها؟"

"أكيد هيهمني، وهفضل معاها أكيد ومش هسيبها، علشان هي أُختي وهتفضل أُختي!"

أخذت نفسًا عميقًا بعد أن فركت شعرها بيدها اليُمنى:

"ايه اللي مخليك مُتأكد أوي انها هتفضل أُختك؟"

أجابها في خجل:

"ما هو علشان أنا بحب واحدة تانية، فأكيد أي بنت عارفها هتبقي أُختي!"

ضحكت، وقالت:

"ايه ده؟ أحمد بقى بيحب!"

"اها..عندِك مانع؟"

أكملت ضاحكة:

"لأ طبعًا معنديش مانع إنك تحب،براحتك يعني.. بس كُنت عايزة أعرف من سعيدة الحظ؟"

أجاب بعد فترة صمت طالت بينهما:

"إنتِ!"

ابتسمت بسُخرية، وقالت:

"بتهزر أكيد!"

أجابها في جديّة:

"لأ مش بهزر، البنت اللي بحبها دي تكون انتِ!"

"بطل هزار يا أحمد، قولي بقي بجد هي مين؟"

"انتي مش مصدقاني ليه؟ والله العظيم بحبك انتي، من أول يوم شوفتك فيه، من أول كلام بيننا، كُنت مُعجب بيكي جدًّا، وخوفت أقولك لحسن... لحسن...أخسرك!"

اتسعت عيناها، ولم تتفوه بكلمة! فقط ظلت صامتة، لفترة طويلة!

قال في قلق:

"مالك يا زهرة؟ أنا قلتلك علي اللي في قلبي ناحيتك، مش أكتر!"

لم تنبس بكلمة! وبعدها ساد الصمت فترة بينهم، يحدّقان ببعضهما البعض، هو ينتظر مُعجزة تحدث كي يستطيع أن يفهم شيئًا من ردة فعلها هذه! فأخذ في التساؤل: "أهي تُحب شخصًا آخر؟ أم أن لديها نفس ذلك المبدأ الذي يُهيمن على ويندي؟

لحظات، وقالت:

"في رأيك مين عدوّنا الحقيقي؟"

اندهش من هذا السؤال! فقال:

"وده إيه دخله بالموضوع؟"

"رد على سؤالي!"

قالت بحدة. سحب نفسًا عميقًا، ثم زفره ببطء، وأجاب:

"أكيد اليهود!"

قالت بسخرية:

"غبي!"

اضطرب قليلًا، ثم قال:

"ده اللي أعرفه، من ساعت ما اتولدت وهمّ بيقولولنا إن اليهود دول أعداءنا علشان إحتلوا فلسطين و... "

قاطَعته:

"أحمد! أحمد! الكلام ده تروح تقولوا في حصة التاريخ، عند مستر ميشو!"

"خلاص أنا غبي! جاوبي إنتي!"

أكمَلت:

"بص حواليك يا أحمد.. ركز في وشوش الناس، إسمع دقّات قلبهم، الناس بتنام على مصيبة، وتصبح على كارثة! ماحدش بقى طايق حد، معدلات الجريمة زادت، والخناقات بين الشباب بقت أوفر أوي! ودم المصري، والعربي عمومًا بقى رخيص! و الإرهاب انتشر أوي و بقي في كل مكان، ده غير التلفزيون، اللي هدفه هو تضليل الناس، و المسلسلات و البرامج التافهة الحقيرة اللي بتلهي الناس.. و السؤال هنا: بتلهي الناس عن ايه؟؟

ايه اللي بيحصل في الدنيا، صانعي البرامج و المسلسلات دي مش عاوزينّا نعرفه؟ أنا كل ده وماتكلمتش على حال البلد، اقتصادنا.. تعليمنا.. وحاجات تانية كتير"زفر أحمد، ثم قال:

"أنا مش عارف إيه لازمة الكلام ده بس."

قاطعته مُجددًا:

"الناس ملهية في الحب والرومانسية، في الأفلام الهابطة اللي كل سنة تحتكر صالات السينما، صافيناز!! السياسة! الإعلام! ومواقع السِّكس!"

تورد وجهه، وقال:

"إيه الكلام ده يا زَهرة؟!"

قاطعته:

"ماتنكرش إنك امبارح بليل بعد ما أهلك راحوا مشوار خالتك انت استفردت بالكمبيوتر وفتحت المواقع دي وعِشت!"

لم ينبس بكلمة خجلًا، لأنها مُحقة! أردفت:

"ماتقلقش، هتحصل ثورة قريب في العالم.. ثورة على الإباحية! وهتشوف!"

صمتت برهة، ثم أكملت:

"وحاجات كتير الناس مشغولة بيها! وفوسط كل ده، عدونا خلاص قرب ينهي مشروعه! مشروع قدر من خلاله التحكم في عقولنا، تصرّفتنا،حتى أحلامنا!همّا قربوا يمحونا من على وشّ الأرض!"

تنهد، وقال:

"بصراحة معاكي حق في كل كلمة قلتيها!"

"عرفت بقي مين عدوّنا؟"

قالت باسمة. أجاب بعد فترة من الصمت:

"الصهاينة!"

ضربت كفًا على كفّ! ولفظت:

أجابت بابتسامة غريبة:

" لأ! "

"بس اسكت بقى اتلهي على عينك!"

تراجع بكرسيه إلى الخلف، وقال صارخًا:

"أومال ميييييين؟"

ابتسمت في هدوء، وقالت:

"فكّر شوية،مين في الدنيا دي كلها يقدر يتحكم بعقلك وأحلامك ويحدد مصير الشعوب، أكيد قوة خارقة للطبيعة!"

شبّك كلتا يديه بقوة، وقال:

"من الآخر.. مش عارف، وأنا زهقت من ألغازك دي!"

"في حد بيحب حد يقوله أنا زهقت منك؟!"

زفر، وقال: " مانتي اللي..."

قاطعته:

"هفهمك كل حاجة، تعالى عندي البيت النهاردة الساعة 8 بليل، هكلمك في موضوع مهم."

ثم أخرجت ورقة من جيبها، ووضعتها على الطاولة، ثم أردفت:

"ده العنوان، هتلاقيني مستنياك، أوعي تتأخر!"

وانسحبت بسرعة! ونظرة التعجب غامرة عينيه! وبالفعل! انتهز المُراهق هذه الفرصة ووافق على الفور! فمن منا سيضيع فرصة الذهاب مع فتاة إلى شقتها؟ وفي هذا المساء،كانتَ الأرض قد خلت من الناس، حول تلك العَمارة هُناك!

"حاسَّاك خايف!"

قالتها وهي تضع مُفتاح شقتها في الباب، فأجابها مُتعجبًا:

"خايف! وإيه اللي يخوف؟"

"ماشي يا عم الراجل!"

قالت مُبتسمة.

فتحت الباب، ثم همّت هي بالدخول أولًا، و تبعها في ترددٍ وخوفٍ هو نفسه لا يعرفه!

ربما لأنه يُدرك الخطأ الذي يفعله، فنهض ضميره قائلًا:

"ازاي سمحت لنفسك إنك تيجي معاها شقتها؟"

أو،ربما بسبب نظراتها الحادة بعض الشيء، فعيناها الرزقاوان تحملان براءة طفلة صغيرة، وصرامة سيدة عجوز! أو لأنه عندما دخل تلك الشقة وراءها، لم يأنس وشعر بهيبةٍ في المكان! فأول ما لفت نظره تلك اللوحة الكبيرة المُعلقة على الحائطٌ فوق التلفاز، وذلك الرجل الكهل الذي يجلس على كرسيه الخشبي، مُحدقًا في وجه ذلك الغريب الزائر! تلك اللوحة استوقفت أحمد، وتبدَّت عيناه برهبة شديدة عند رؤية تلك المرأة المرسومة بدقة وباحترافية شديدة!كانت مُجرد امرأة، ترتدي فُستانًا أحمر صوفيًّا،وفي عُنقِها قلادة الفراشة! وتبتسم في هدوء. قال في نفسه:

"هي دي الست اللي شوفتها في حلمي!"

بترت أفكاره عندما قالت، رابتة على كَتِفه:

"تعالى، هعرفك على عمِّي" وهرعت إلى ذلك الرجل العجوز، الذي بدا وجهه شاحبًا بشكل بالغ! ومليء بتلك التجاعيد التي تُبدي عليه أنه فوق المائة عام! و عيناه ما زالتا تُحدقان في وجه المراهق.

"ده أحمد، اللي كلمت حضرتك عليه"

قالت هي ولكنه لم يرد،بل إنه لم ينظر إلى المُتحدثة، فقط كل ما يفعله هو التحديق في أحمد! وسرعان ما قالت:

"ده عمِّي."

هُنا حيا أحمد الرجل قائلًا:

"سلامو عليكو يا حج."

لم يبدِ الرجل أي اهتمام على الإطلاق، وظلّ مُحدقًا، وهذا ما دفع أحمد لمتابعة حديثه صانعًا الابتسامة:

"أنا أحمد، زميل زهرة في المدرسة."

ولكن.. لا جدوى! فهمست زهرة في أُذن ذلك الرجل، وهذا ما زاد من حيرة أحمد وخوفه!وعندما انتهت،رفعت وجهها المُبتسم، وقالت:

"تعالى ورايا يا أوضتي أحمد!"

وتوجهت إلى تلك الغُرفة المُغلق بابُها.اتسعت عيناه وقال متسائلًا:

"أجي وراكي فين؟"

"ماتخفش، مش هعمل فيك حاجة وحشة يعني!"

فانساب وراءها وكأنه مُنوَّم مغناطيسيًّا من قِبلها، أو من قبل ذلك الرجل الغريب! حتى أصبح الاثنان يقفان أمام باب الغرفة الخشبي.

ضحكت هي، وقالت في هدوء:

"أنت عمرك دخلت أوضة واحدة من صحباتك قبل كده؟"

أجاب متعجبًا:

"أكيد لأ طبعًا! وأنا أصلًا معنديش صحاب بنات، هي ويندي بس.. قبل ما تختفي!"

"أه...ويندي، تمام!"

وأردفت بعدها:

"بص بقى.. الأوضة دي فيها حاجة غريبة أوي.. تحب أقولهالك وأحرقلك الأحداث ولّا تكتشف إنت مع نفسك؟"

و لم تُعطه فرصة للإجابة، فأضافت:

" المفروض إنك لما تدخل.. هتشوف حاجة، لو قدرت تشوفها يا أحمد.. يبقي النبوءة صح!! "

بعدها غمغمت:

" ربنا يُستر و ما يكونش اللي في بالي! "

وكادت أن تفتح الباب لولا أن يده منعتها، وقال:

"أفهم بس الأول أنا هدخل أوضتك هعمل فيها إيه؟"

و تابع: "وأصلًا هو فيه إيه؟"

لم تبد اهتمامًا لما قال، وفتحت الباب، و دخلت هي تلك الغرفة المظلمة أوَلًا، وسرعان ما أشعلت أضواءها، وتوسطتها وقالت:

"ها... إيه رأيك بقى في أوضتي؟"

هنا،خفق قلبه بشدة، وتعرقت بشرته بغزارة، ودبَّ الفزع في قلبه وتبدَّت عيناه بالرعب، ولم يستطع أن يتمالك جسده الذي أصبح يرتجف بقوة، وأيضًا لم يستطع أن يتنفس بعدما التفت إلى ذلك الرجل الكهل الذي ما زال يحدق إليه! وأدار رأسه مُجددًا ليجدها تقول في قلق: "فيه ايه يا أحمد مالك؟"

ولم يستطع جسده أن يحمله أكثر من ذلك! حيث أخيرًا.. سقط على الأرض فاقدًا الوعي!

هَرعت نحوه، صارخة:

"أحمد! أحمد!"

وهمّت إلى ذلك الكهل صارخة:

" إعمل حاجة يا عمّو بسرعة أرجوك! طلع اللي في بالي!! طلع اللي بالي!! استر يااا رب!!! "

بعد لحظات، استفاق أحمد، ليجد نفسه مُستلقيًا على سرير زَهرة في غرفتها، وبجانبه زهرة وعمّها العجوز، يُحدقان فيه!

هرعت إليه، قائلة:

"ايه اللي حصل يا أحمد! ها..شوفت إيه؟"

لم يستطع الإجابة، فما زال مُتأثرًا بالإغماءة! هزّته بكلتا يديها بشدة! صارخة:

" أرجوك يا أحمد ركز معايا أبوس إيدك! قولي شوفت إيه؟ لإن الكلام اللي هتقوله ده أنا نفسي معرفتش أشوفو!! لإنك انت الوحيد اللي تقدر تشوفو.. علي حسب النبوءة!!"

جلس علي السرير بصعوبة، و حرّك أخيرًا شفتيه، و قال:

"ايه ده! يا نهار إسود!!"

فزعت هي، صرخت:

"انطق بقي!" ونظرت إلى عمها الذي بدا قَلِقًا بعد سماع المراهق!

استرسل:

" الجو مليان ضباب! و المطر بيترل بسرعة أوي.. في ميدان التحرير!

أخرج تلك الجملة بصعوبة!

التقت أنفاسه، و تابع:

" كان فيه دبّابات كتير واقفة في التحرير، كلهم بِلا استثناء كان عليهم علم إسرائيل! و الناس كانوا عمّالين يجروا هنا و هناك، و الجنود اليهود بيقتلوا فيهم! "

ثم ساد الصمت لثانيتين، حتى أردف:

"و شوف ثلاث فراشات كانوا بيطيروا فوق بحر من دماء المصريين!"

هنا وقف الرجل العجوز عندما دبّ الفزع في قلبه! وقال بصوته المُرتجف:

"يبقي صانعة الفراشات كلامها طلع صح!!"

أضاف في النهاية: " للحظة شوف خريطة العالم.. و ما لاقتش مصر علي الخريطة.. علشان كان محطوط مكانها: دولة إسرائيل الكبرى!!

خاتمة

منبه المحمول أيقظه من نومه العميق هذا الصباح،جلس على سريره، أمسك بهاتفه ليرى أنها الساعة السابعة والنصف صباحًا، حان موعد الذهاب إلى العمل!

التفت إلى زوجته التي كانت نائمة بعمق، ليربت بيده على ظهرها في حنان، ثم بدأ في النزول من على سريره الفاخر، خطا إلى الحمام في هدوء، أنعشه ذلك الدُّش الساخن! حيث صعد البُخار حتى غطى جميع مرايات الحمام الكبير! ارتدى ملابسه بسرعة، قميصًا أبيض وبنطلونًا أسود.. زي العمل التقليدي.

أسرع إلى المطبخ ليأكل من ذلك الخُبز الموجود من ليلة أمس، ثم سرعان ما فتح تلك الثلاجة الفاخرة؛ ليخرج منها زُجاجة عصير طبيعي، تجرعها دفعة واحدة حتى انتهت! ووضعها في ذلك الصندوق الخشبي بجانب الثلاجة. أسرع الى باب منزله؛ يرتدي ذلك الشراب

الأبيض،وذلك الحذاء الأسود الُلمع! فتح باب منزله، ولم يكد يذهب حتى سمع صوت زوجته من خلفه تقول:

"لا تتأخر يا عزيزي!"

التفت إليها وقال:

"حسنًا يا حبيبتي."

ثم أغلق الباب وراءه، أسرع إلى سيارته الراقدة أمام المنزل، سيارة سوداء جديدة! انطلق مُسرعًا إلى تلك الشركة التي يعمل بها وتجول بها في شوارع نيويورك، مدينة الأحلام! كم ساحرة هي! فالطُرقات خالية من تلك القمامة، ومُستوية ببعضها البعض! والناس يسيرون على الرصيف، ذاهبين إلى أعمالهم، في سعادة!

تلقي هاتفًا من أحد أصدقائه،فأجاب بسرعة:

"ألو يا صديقي."

رد المُتصل:

"صديقي العزيز، كيف حالك؟"

"بخير."

وبدون مُقدمات، قال:

"لقد عادت يا مارك! عادت أخيرًا استجابت لنا! صبرنا لم يذهب سدى! "

خفق قلب مارك في سعادة! وقال:

"كفى مُزاحًا!"

"أنا لا أمازحك! أمس تلقينا إشارة لها، في الشرق الأوسط، تحديدًا.. مصر!"

"ما الذي تقوله؟! أمُتأكد أنت من هذا الكلام؟! "

أجابه:

"نحن نعمل منذ أكثر من عشر سنوات، نسعى فقط لإعادتها، وها قد عادت! مُتجسدة في جسد فتاة في مُقتبل العُمر!"

"حسنا! أهناك أحد يعلم بهذا الأمر غيري؟"

"جميعنا وثبنا فرحًا عندما رأينا الإشارة!"

ثم صمت لبرهة، وأردف:

"تعالَ هذا المساء، سنستقبلها و سنقيم احتفالًا عظيمًا!"

"حسنًا، سآتي بمجرد أن أنتهي من عملي!"

وأغلق الخط! وصمت لبرهة،ثم صاح:

"ياااااااااااهوووووووووو!"

سرعان ما وصل إلى تلك الشركة كبيرة، ركن سيارته ونزل منها، مُتجهًا إلى بوابة تلك الشركة! انتهى وقت العمل، كانت الساعة التاسعة ليلًا، عندما خرج من تلك الشركة، ذاهبًا إلى سيارته الراقدة، انطلق بها مُسرعًا، وتجول في تلك الشوارع الساحرة مُجددًا.

اتصل بزوجته ليخبرها أنه سيتأخر اليوم، وسرعان ما أغلق هاتفه ووضعه بالكرسي بجانبه، وانطلق مُسرعًا نحو ذلك الشارع المهجور، الذي لا حياة فيه علي الإطلاق!

ركن سيارته، وانطلق مُسرعًا إلى المنزل المُنعزل تمامًا عن العالم! وقف أمام الباب الخشبي، وطرق ثلاث طرقات بانتظام! لم تمر لحظات حتى فُتح الباب، ليجد الرجل العجوز، قصير القامة، يبتسم في هدوء، قائلًا:

"تفضل."

ألقى مارك عليه التحية، ودخل إلى ذلك المنزل الغريب، توجه إلى الغُرفة مُسرعًا! حتى التفت إلى الرجل العجوز قبل أن يُغلق الباب عليه.

"إنهم في انتظارك!"

قال الرجل العجوز.

أومأ مارك برأسه بنعم، ثم أغلق الباب بسرعة، خطا نحو السرير الكبير، وتوجه نحو الزر الأحمر على المكتب بجانبه، ضغط عليه برفق، حتى انقسم السرير إلى شطرين، تقدم في هدوء، حتى وجد البوابة الكبيرة تفتح! نزل مُسرعًا على السلالم، حتى وصل إلى المصعد أمامه..ضغط على الزر السري،ففُتح باب المصعد، ودخله في هدوء..أغلق الباب وراءه، ثم ضغط على زر الطابق الأرضي، وسرعان ما هبط بالمصعد إلى أسفل.. حتى أصبح تحت الأرض!

فُتح باب المصعد بهدوء، ليخرج منه ذلك الرجل، ذو البشرة البيضاء،والعينين الزرقاوين،والشعر الأشقر،وتلك الابتسامة الصفراء! ليجد نفسه وسط تلك الحشود من البشر، فسرعان ما اتجه معهم إلى تلك البوابة الضخمة المغلق بابها.. أمامهم!

"عزيزتي، إنها بالفعل مُقبلة إلينا.. أخبرتك أننا يمكن الاعتماد على أوريتّا!"

"نعم بالفعل يا مارجي، يمكننا الاعتماد عليها، ولكنها ستكون المرّة الأخيرة!"

"لماذا يا عزيزتي؟"

"لأنها حمقاء!"

Special thanks to the one who greatly inspired me , The American novelist and short story writer "George R.R Martin " the author of Wild Cards and the dramatic series Game Of Thrones.. I would like to thank you for all your books that greatly influenced my imagination development and my novel's own world .. This novel is truly also yours.. I always expect the best from you.. Many ..Thanks